

## نماذج من الأزواج

### شرح النبی ﷺ أحدهم !

في الحديث الشريف عن عائشة - رضي الله عنها - أنها قالت : جلس إحدى عشرة امرأة ، فتعاهدن وتعاقدن أن لا يكتمن من أخبار أزواجهن شيئاً !

#### قالت الأولى :

زوجي لحم جميل غث ، على رأس جبل وعر ، لا سهل فيرتقى ولا سمين فينتقل .<sup>(١)</sup>

#### وقالت الثانية :

زوجي لا أثبت خبره ، إني أخاف أن لا أذكره ، إن أذكره أذكر عُجره<sup>(٢)</sup> وبجره

#### وقالت الثالثة :

زوجي العشنق<sup>(٣)</sup> ، إن أنطلق أطلق ، وإن أسكت أعلق<sup>(٤)</sup> .

#### أما الرابعة فقد قالت :

زوجي كليل بهامة ، لا حر ولا قرد<sup>(٥)</sup> ، ولا مخافة ولا سامة .

(١) لا سهل : تعني الجبل ، ولا سمين : تعني اللحم . وغث : أي مهزول . وصفت زوجها باليخل ، وقلة الخير ، وبعده من أن ينال خيره ، مع قلته - كاللحم الهزيل - فكيف إذا كان في رأس جبل .

(٢) تقصد أن زوجها معيب ظاهراً وباطناً فالعُجْر العروق النابتة من الجسد مثل دوالي الساقين ، والبُجْر الثَّوْب في البطن ولذا يقال للرجل أبحر إذا كان ناقاً السرة عظيمها .

(٣) الطويل المذموم السيء الخلق الأحمق .

(٤) أي تركني معلقة لا عزباء ولا متزوجة .

(٥) القر : البرد .

## وقالت الخامسة :

زوجى إن دخل فهد<sup>(١)</sup> ، وإن خرج أسيد ، ولا يسأل عما عهد<sup>(٢)</sup> .

## وقالت السادسة :

زوجى إن أكل لَف<sup>(٣)</sup> ، وإن شرب اشتف ، وإن اضطجع التف ، ولا يولج الكف ؛ ليعلم<sup>(٤)</sup> ، البث

## وقالت السابعة :

زوجى : عيائ أو غيائ ، طباقاء كل داءٍ له داء ، شَجَلِكِ أو فَلَكِ ، أو جمع كَلَّا لَك<sup>(٥)</sup> .

## وقالت الثامنة :

زوجى : الريح ريح زرنب ، والمسّ مسّ أرنب<sup>(٦)</sup>

## وقالت التاسعة :

زوجى : رفيع العِمَاد ، طويل النَّجَاد ، عظيم الرَّمَاد ، قريب البيت من النّاد<sup>(٧)</sup>

---

(١) تقصد أنه ينام كالفهد كثيراً ، أو يثب لضربى ، أو لوقاعى بلا ملاعبة .

(٢) أى لا يسأل عما كان يعرفه في البيت من ماله ومتاعه .

(٣) (لف) أى يؤثر الأكل . اشتف شرب ما في الإناء . التف : تلفف في ثوبه واعتزل عن المضاجعة ولا يهتم في المضاجعة .

(٤) ولا يولج الكف : أى لا يدخل كفه بين ثوبى وجلدى . ليعلم البث : أى حزنى الذى عندى .

(٥) العيائ . العاجز عن مضاجعة النساء ، وهو الذى لا يلقح . والغيائ : من الغى الذى هو الحية تعنى أنه لا يتعدى إلى مسلك أو هو ثقيل الروح طباقاء : المطبقة عليه أموره حمقا فلا يتعدى لها . وجميع امراض الناس مجتمعة فيه ، وهو إما أن يجرحها أو يكسر عظامها أو يجمع بين الاثنين .

(٦) زوجها طيب الريح ناعم اللمس . والزرنب نوع من الطيب أو شجر طيب الرائحة .

(٧) زوجها متميز على الآخرين فيته عال يراه الضيفان - وهو طويل القامة - كريم - مشهور بين ذوى رأى في قومه ويستفاد بماله .

## وقالت العاشرة :

زوجي : مالك وما مالك<sup>(١)</sup> ؟ مالك خير من ذلك ، له إبل كثيرات المبارك ،  
قليلات المسارح ، إذا سمع صوت الزهر ، أيقنّ أنهم هوالك .

## وقالت الحادية عشرة :

زوجي أبو زرع ، وما أبو زرع ؟ . أناس من حُلِيٍّ أذُنِّي ، وملاً من شحم  
عُضْدِيٍّ ، وبَجَحْنِي<sup>(٢)</sup> فبحجت إليّ نفسي !

وجدني في أهل غنيمة بشيق<sup>(٣)</sup> فجعلني في أهل سهيل وأطيّط ، ودائس ومُنَقِّ  
<sup>(٤)</sup> ، فعنده أقول فلا أَقْبَحُ وأرقد فأتصَبِّح ، وأشربُ فأتَقَنِّح .

أم أبي زرع ، فما أم أبي زرع ؟

عكومها رَدَّاح<sup>(٥)</sup> ، وبيتها فساح<sup>(٦)</sup> ؟

ابن أبي زرع ، فما ابن أبي زرع ؟

مضجعه كَمَسَلَّ شطبة<sup>(٧)</sup> ، ويشبعه ذراع الجفرة<sup>(٨)</sup> ، .

بنت أبي زرع ، فما بنت أبي زرع ؟

---

(١) زوجها مالك له إبل كثيرة تنتظر الضيفان الذين يستقبلون بالأغاني وتعرف الإبل أنها منحورة  
عندما تسمع وترى مراسم استقبال الضيوف .

(٢) فَرَحْنِي ففرحت ، أو عَظْمَنِي فعظمت نفسي في عيني .

(٣) كانت تعيش في ضيق وشظف عيش

(٤) تقصد بالسهيل : الخيل ، وبالأطيّط : الجمال تحمل أثقالاً والدائس : الدواب تدرس الحصاد ،  
والمُنَقِّ : الذي ينقى الطعام ويستخرجه من تبنه وقشوره والمعنى أنه نقلها من شدة عيش إلى ثروة  
واسعة وخير عميم .

(٥) رَدَّاح : عظيمة ممثلة بالخير وعكومها : أي أوعية طعامها وأمتعتها واسعة .. كناية عن كثرة  
الخير .

(٦) فساح : واسع .

(٧) الشطبة : ماشق من جريد النخل . والمعنى أن جنبه الذي هو مَخَلّ اضطجاعه كجريدة دقيقة ،  
فهو خفيف اللحم دقيق الخصر كشطبة مسلولة من قشرها ، كما يفعل صانع الأقفاص فيشطر الجريدة  
عيداناً دقيقة كل عود هو شطبة مسلولة من قشرها

(٨) الجفرة : الأنثى من ولد المعز .

طوع أبيها ، وطوع أمها ، وملء كسائها<sup>(١)</sup> ، وغيط جاراتها<sup>(٢)</sup> !

جارية أبى زرع ، فما جارية أبى زرع ؟

لا بُدَّ حديثنا تبشيتا ، ولا تنفث<sup>(٣)</sup> ميرتنا تنفيثا ، ولا تملأ بيتنا تعشيشا<sup>(٤)</sup> .

ثم قالت :

خرج أبو زرع والأوطاب<sup>(٥)</sup> ، تمخض ، فلقى امرأة معها ولدان لها كالفهدين ، يلعبان من تحت خصرها برمانتين<sup>(٦)</sup> ، فطلقني ونكحها .

فنكحت بعده رجلاً سرياً<sup>(٧)</sup> ، ركب شرياً<sup>(٨)</sup> ، وأخذ خطياً<sup>(٩)</sup> ، وأراح على نعماً ثرياً<sup>(١٠)</sup> ، وأعطاني من كل رائحة<sup>(١١)</sup> زوجاً ، وقال كلى يأم زرع وميرى أهلك<sup>(١٢)</sup> فلو جمعت كل شيء أعطانيه ما بلغ أصغر آنية أبى زرع !

قالت عائشة : قال لى رسول ﷺ : كنت لك كأبى زرع لأم زرع !

[أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب النكاح باب حسن المعاشرة مع الأهل ٢٧٥/٣ ، ٢٧٨ ، ومسلم فى صحيحه كتاب فضائل الصحابة باب ذكر حديث أم زرع حديث رقم ٩٢]

## \* بداية موفقة

قال ابن سيرين : تزوجت امرأة من بنى تميم ، فلما كانت ليلة البناء<sup>(١٣)</sup> بها دخلت عليها ؛ فإذا هى فى انتظارى على باب خدرها<sup>(١٤)</sup> ...  
فمددت يدي إليها فقالت :

(١) كناية عن امتلاء جسمها .

(٢) تقصد ضربتها .

(٣) تعنى نظافة البيت ولا تترك الموام تعشش فيه .

(٤) هى زقاق اللبن . واحدها وطب . وتمخض : أى يؤخذ زبدها .

(٥) تقصد أن لها تدين حسنين صغيرين كالرمانتين .

(٦) أى سيراً شريفاً .

(٧) أى فربساً قوياً يستشرى فى العدو .

(٨) الخطى : هو الرمح .

(٩) أى أعطاني من كل شيء يأتيه من أصناف المال وقت الرواح من الإبل والبقر والعبيد .

(١٠) ميرى أهلك : أى بريمى وقدمى لهم الميرة والطعام ولّى القرآن : ﴿وَنِيمِرْ هُنَا﴾ .

(١١) البناء بها : الدخول والزواج .

(١٢) الخذر : السُّر ، والمأوى .

على رِسْلِكَ<sup>(١)</sup> !

فَحَمِدَتِ اللَّهَ وَأَثْنَتِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَتْ : إِنَّ اللَّهَ يَضَعُ الْعِلْمَ حَيْثُ يَشَاءُ .. ؛ وَأَنَّهُ  
بَلَّغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ يُؤْمَرُ إِذَا دَخَلَ عَلَى أَهْلِهِ أَنْ يُصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ ، وَأَنْ تُصَلِّيَ امْرَأَتُهُ  
مَعَهُ !

فَإِذَا فَرَغَ قَالَ :

اللَّهُمَّ بَارِكْ لِي فِي أَهْلِي ، وَبَارِكْ لِأَهْلِي فِيَّ .. اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي ارْزُقْنِي الْفَتَاهَ  
وَمُودَّتَهُمْ ، وَارْزُقْهُمْ الْفَتَى وَمُودَّتِي !! وَحَبِّبْ بَعْضَنَا إِلَى بَعْضٍ .

فَقَمْتُ ، فَفَعَلْتُ ، فَلَمَّا فَرَعْتُ أَهْوَيْتُ يَدَيَّ إِلَيْهَا ، فَقَالَتْ : عَلَى رِسْلِكَ ..

إِنَّ الرَّجُلَ يُؤْمَرُ إِذَا أَرَادَ غَشِيَانًا<sup>(٢)</sup> . أَهْلُهُ أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ ،  
وَلَا تَجْعَلْ لَهُ بَيْنَنَا نَصِيبًا .. فَقُلْتُ ذَلِكَ فَلَمْ أَزَلْ أَعْرِفُ الْخَيْرَ وَالْبَرَكَةَ<sup>(٣)</sup>

## \* أَيُّ الْأَزْوَاجِ أَنْتِ ؟ !

قَالَتْ أَبُو الْيَقْظَانِ :

خَطَبَ «عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ» أُمَّ أَبَانَ بِنْتَ عَتَبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بَعْدَ أَنْ مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا  
يَزِيدُ بْنُ أَبِي سَفْيَانَ ، فَقَالَتْ :

لَا يَدْخُلُ إِلَّا عَابِسًا ..

وَلَا يَخْرُجُ إِلَّا عَابِسًا ..

يُغْلِقُ أَبْوَابَهُ !

وَيُقِلُّ خَيْرَهُ !

ثُمَّ خَطَبَهَا «الرُّبَيْرُ» فَقَالَتْ :

يَكُنْ عَلَى قُرُونِي ، وَيَدِّ لَهُ فِي السَّوْطِ . وَخَطَبَهَا «عَلِيٌّ» فَقَالَتْ :

---

(١) على رسلِك : مهلاً .

(٢) غشيان أهله : جماع زوجته .

(٣) فعشت حياتي في خير وبركة بفضل تلك البداية الطيبة .

ليس للنساء منه حظٌ إلا أن يقعد بين شُعْبَيْنِ الأربع ، لا يُصَيِّنُ منه غيره !  
وخطبها « طلحة » فأجابت ، فتزوجها .. ودخل عليها على بن أبي طالب فقال  
لها : رددت من رددت منا وتزوجت ابن الحضرمي ؟!  
فقالت : القضاء والقدر ؛  
فقال : أما إنك تزوجت أجملنا مرآة ..  
وأجودنا كُفًا ..  
وأكثرنا خيراً على أهله ..

### \* لِمَ خلقت المرأة ؟!

كان خالد بن الوليد بن معاوية زوجاً لبرمكة بنت الزبير أخت عبد الله بن  
الزبير .  
و ذات يوم راح خالد يصف عبد الله بالبخل وبرمكة جالسة ، فأطرقت ولم  
تتكلم بكلمة !  
فقال لها زوجها خالد :  
مالك لا تتكلمين ؟!  
أراضية أنت بما قُلتُ ، أم تُنزهين نفسك عن جوابي <sup>(١)</sup> ؟ فقالت لا هذا ،  
ولاذك ، ولكن المرأة لم تُخلق للدخول بين الرجال ؛ إنما نحن رياحينٌ للشَّمِّ  
والضَّمِّ فما لنا وللدخول بينكم ؟!  
فأعجبه قولها ، وقام إليها ، وقَبَّلَ ما بين عينيها !

### \* وافدة النساء !

وفدت أسماء بنت يزيد الأنصارية ، والتي لقبت بخطيبة نساء العرب ،  
ووافدتهن إلى رسول ﷺ وهو بين أصحابه ، فقالت :  

---

<sup>(١)</sup> تنزهين : تُبعدين وتترفعين عن الدخول في مثل تلك الموضوعات .

بأنى أنت وأمى يارسول الله ، أنا وافدة النساء إليك .  
 إن الله عز وجل ، بعثك إلى الرجال والنساء كافة ، قد آمننا بك وبإلهك .  
 إنا معشر النساء محصورات مقصورات ، قواعد بيوتكم ، وحاملات  
 أولادكم ، وإنكم - معشر الرجال - فضلتم علينا بالجمع والجماعات ، وشهود  
 الجنائز والحج بعد الحج ، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل ، وإن  
 أحدكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أولادكم وأموالكم ،  
 وغسلنا أثوابكم ، وربينا لكم أولادكم ، أفنشاركم في هذا الأجر والخير؟!  
 فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ، ثم قال : هل سمعتم مسألة (١) امرأة  
 قط ، أحسن من مسألتها في أمر دينها ؟

فقالوا : يارسول الله !

ماظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا ؟!

فالتفت النبي ﷺ إليها فقال :

« افهمي أيتها المرأة ، وأعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل المرأة  
 لزوجها يعدل ذلك كله » (٢)

### \* المتكلمة بالقرآن !

قال عبد الله بن المبارك :

خرجت حاجاً إلى بيت الله الحرام ، وزيارة نبيه عليه الصلاة والسلام .  
 فبينما أنا في بعض الطريق إذا بسواد ، فتميزت ذلك السواد ، فإذا هي عجوز  
 عليها درع من صوف ، وخمار من صوف !

فقلت : السلام عليك ورحمة الله ! فقالت : ﴿ سلامٌ قولاً من ربِّ رحيم ﴾  
 [آية ٥٨ / يس]

(١) مسألة : سؤال .

(٢) حسن تبعل المرأة لزوجها : قيامها بواجب الزوجية . أشار إليه ابن الأثير في مادة «بعل» بقوله :  
 ومنه حديث أسماء الأشهلية «إذا أحستين تبعل أزواجكن» .

فقلت : يرحمك الله ما تصنعين في هذا المكان ؟! فقالت : ﴿ من يُضِلِّ الله فلا هادى له ﴾

[ آية ١٨٦ / الأعراف ]

فعلمت أنها ضالة عن الطريق !

فقلت لها : أين تريدان ؟

فقالت : ﴿ سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ﴾

[ ١ / الإسراء ]

فعلمت أنها قد قضت حجهها ، وهى تريد زيارة بيت المقدس . فقلت : مُذَكَّم فى هذا الموضع ؟

( ١٠ / مريم )

قالت : ﴿ ثلاث ليالٍ سويًا ﴾

قلت : ما أرى معك طعاماً تأكلينه ؟!

قالت : ﴿ والذى هو يُطعمنى ويسقِن ﴾

[ ٧٩ / الشعراء ]

فقلت : بأى شئ تتوضئين ؟

قالت : ﴿ فإن لم تجدوا ماء فتمموا صعيداً طيباً ﴾

[ ٤٣ / النساء ]

فقلت لها : إن معى طعاماً فهل لك فى الأكل ؟

قالت : ﴿ ثم أتموا الصيام إلى الليل ﴾

[ ١٨٧ / البقرة ]

فقلت لها : ليس هذا شهر رمضان !

قالت : ﴿ ومن تطوع خيراً فإن الله شاكر عليم ﴾

[ ١٥٨ / البقرة ]

فقلت لها : قد أُبَيح الإفطار في السفر . قالت : ﴿وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

[ ١٨٤ / البقرة ]

فقلت لها : لم لا تكلميني بمثل ما أكلتك ؟!  
قالت : ﴿مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾

[ ١٨ / ق ]

فقلت لها : من أى الناس أنت ؟  
قالت : ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[ ٣٦ / الإسراء ]

فقلت لها : قد أخطأت فاجعليني في جِلٍّ !  
قالت : ﴿لَا تَثْرِيْبَ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾

[ ٩٢ / يوسف ]

فقلت لها : فهل لك أن أحملك على ناقتي هذه فتدركي القافلة ؟!  
قالت : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾

[ ١٩٧ / البقرة ]

قال : فلما أُنْحِتْ ناقتي قالت : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾

[ ٣٠ / النور ]

فغَضَضْتُ بَصْرِي عنها وقلت لها : اركبي ، فلما أرادت أن تركب فرت الناقة  
فمزقت ثيابها !!

فقالت : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾

[ ٣٠ / الشورى ]

قلت لها : اصبري حتى أعقلها !

قالت : ﴿فَفهمناها سليمان﴾

[٧٩/الأنبياء]

فلما ركبت قالت : ﴿سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾

[١٤/الزخرف]

قال : فأخذت بزمام الناقة ، وجعلت أسرع وأصيح . فقالت : ﴿واقصد فى مشيك واغضض من صوتك﴾

[١٩/لقمان]

فجعلت أمشى رويداً رويداً ، وأترنم بالشعر ، فقالت : ﴿فاقرءوا ما تيسر من القرآن﴾

[٢٠/المزمل]

فقلت لها : لقد أوتيت خيراً كثيراً ! قالت : ﴿وما يذكر إلا أولو الألباب﴾  
[٢٦٩/البقرة]

فلما مشيت قليلاً ، قلت لها : ألك زوج ؟

قالت : ﴿يأىها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم﴾

[١٠١/المائدة]

قال : فسكت ولم أكلمها حتى أدركت بها القافلة . فقلت لها : هذه القافلة ، فمن لك فيها ؟ قالت : ﴿المال والبنون زينة الحياة الدنيا﴾

[٤٦/الكهف]

فعلمت أن لها أولاداً ، فقلت : وما شأنهم فى الحج ؟

قالت : ﴿وعلامات وبالنجم هم يهتدون﴾

[١٦/النحل]

فعلمت أنهم أدلاء الركب ، فقصدت بها القباب والعمارات ، فقلت : هذه القباب ، فمن لك فيها ؟

قالت : ١ - ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾

[١٢٥/النساء]

٢ - ﴿وكلم الله موسى تكليماً﴾

[١٦٤/النساء]

٣ - ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾

[١٢/مريم]

فناديت : يا إبراهيم ، يا موسى ، يا يحيى ! فإذا أنا بشبان كأنهم الأقمار ، قد أقبلوا ، فلما استقربهم الجلوس قالت : ﴿فابعثوا أحداً بورقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه﴾ .

[١٩/الكهف]

فمضى أحدهم ، فاشتري طعاماً فقدموه بين يدي ، فقالت : ﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾

[٢٤/الحاقة]

فقلت : لن أذوق لكم طعاماً حتى تخبروني بأمرها !! فقالوا : هذه أمنأ ؛ ها منذ أربعين سنة لم تتكلم إلا بالقرآن ؛ مخافة أن نزل ، فيسخط عليها الرحمن !

فقلت : ﴿ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم﴾ .

[٤/الجمعة]

## \* أين تريددين ؟

حكى ذو النون المصري أنه رأى امرأة في بعض سواحل الشام .

فقال لها :

من أين أقبلت رحمك الله ؟!

قالت : من عند أقوام : ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾

[الآية ١٦ / السجدة]

فقال لها : وأين تريدین ؟

قالت : هناك ... ﴿رِجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ﴾  
[الآية ٣٧ / النور]

## \* نساء ورجال !

نزل رجل ضعيفاً على رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى إحدى زوجاته : هل عندك طعام ؟

فقالت : والذي بعثك بالحق ، ما عندي إلا ماء ! ثم أرسل إلى سائرهن ، فقلن جميعاً : والذي بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء ! ثم قال لأصحابه : من يستضيف هذا الرجل ؟ فقام رجل من الأنصار وقال :

أنا أضيفه يا رسول الله ، فأخذ بيده إلى داره ، وقال لزوجته : أكرمي ضيف رسول الله ﷺ .

فقالت : وهل عندنا إلا ما يكفي أولادنا ! فقال لها : أنيميهم ؛ فإذا أعددت الطعام فأطفئي السراج ، ثم وضع الطعام أمام الرجل ، فجعل يأكل حتى شبع ، وبات الأنصاري وزوجته طاووين <sup>(١)</sup> .

ولما أصبح الصباح . قال له رسول الله ﷺ .

لقد عجب الله من صنعك ! فأنزل قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ، وَمَنْ يُوقِ شَحْنَهُ فَوَلَّكَ اللَّهُ الْمَفَالِحَ﴾

[الحشر / ٩]

[ رواه البخاري ومسلم والنسائي ]

(١) يطويان بطنهما على الجموع .

## \* قطر الندى (\*) !..\*

كانت قطر الندى بنت حُمارويه بن أحمد بن طولون مع جمالها موصوفة بفضل العقل .

. خلا بها الخليفة المعتضد - بعد أن زُفّت إليه - في مجلس للأنس لم يحضرو غيرها ، فنام على فخذه ، فلما استثقل <sup>(١)</sup> وضعت رأسه على وسادة ، وخرجت فجلست في ساحة القصر على باب المجلس ، فاستيقظ فلم يجدها ، فاستشاط غضباً ، ونادى بها فأجابته على قرب .

فقال : ما هذا ؟!

استخْلَيْتْكَ إكراماً لَكَ ، ودفعْتُ إليك مُهْجَتِي دون سائر حَظَايَاي ، فتضعين رأسي على وسادة ؟! فقالت : يا أمير المؤمنين ، ما جهلْتُ قدرَ ما أنعمتَ به عليّ ، وأحسنْتَ فيه إليّ !!

ولكن فيما أدبني به أرى أن قال لي :

لا تنامي بين الجلوس !

ولا تجلسي بين النوم !

## \* تجربة عاشها زوج اثنتين (\*)

قيل لأعرابي :

من لم يتزوج امرأتين لم يذق حلاوة العيش ، فتزوج امرأتين ثم ندم ، فأنشأ يقول :

تَزَوَّجْتُ اثْنَيْنِ لَفَرَطٍ جَهْلٍ      بما يَشْقَى به زوج اثْنَيْنِ  
فقلتُ أَصِيرُ بينهما خروفاً      أَنَعَمْ يَبْنَ أَكْرَمَ نَعَجَتَيْنِ

(١) استثقل : استغرق في النوم وثقل على فعلهما .

(\*) زهر الآداب .

(\*) الأماشي لأبي علي القالي .

فَصِرْتُ كَنَعَجَةٍ تُضْحِي وَتُمْسِي      تُدَاوِلُ بَيْنَ أَحْبَبِّ ذُبَّتَيْنِ (١)  
 رِضًا هَذِي يُهَيِّجُ سُخْطَ هَذِي      فَمَا أَغْرَى مِنْ أَخَذِي السُّخْطَتَيْنِ (٢)  
 وَأَلْقَى فِي الْمَعِيشَةِ كُلَّ ضُرٍّ      كَذَلِكَ الضَّرُّ بَيْنَ الضَّرَّتَيْنِ  
 لِهَذِي لَيْلَةٌ وَلَتِلْكَ أُخْرَى      عَابَ دَائِمٍ فِي اللَّيْلَتَيْنِ

### \* متى تجتمع لرجل لذة\* (٣)

قال الحجاج يوماً وعنده أصحابه : أما إنه لا يجتمع لرجل لذة حتى يجتمع أربع حرائر في منزله ، يتزوجهن !

فسمع ذلك شاعر من أصحابه يقال له: الضحاك ، فعمد إلى كل ما يملك فباعه ، وتزوج أربع نسوة ، فلم توافقه أى واحدة منهن ، فأقبل إلى الحجاج فقال : سمعتك - أصلحك الله - تقول :

لا تجتمع لرجل لذة حتى يتزوج أربع حرائر ، فعمدت إلى قليل وكثيرى ببعته ، وتزوجت أربعاً ، فلم توافقنى أى واحدة منهن !  
 أما واحدة منهن فلا تعرف الله ، ولا تصلى ولا تصوم !

والثانية : حمقاء لا تتألك .

والثالثة : مُذَكَّرَةٌ متبرجة (٣) .

والرابعة : وَرَهَاء لا تعرف ضرها من نفعها (٤) .

وقد قلت فيهن شعرا .

قال : هات ما قلت ، لله أبوك ! ، فقال :

تَزَوَّجْتُ أَبْغَى قُرَّةِ الْعَيْنِ أَرْبَعاً      فَيَا لَيْتَنِي وَاللَّهِ لَمْ أَتَزَوَّجْ

(١) يتداوولها ويتقاسمها .

(٢) ما أغرى : ما أسلم .

(\*) ذيل الأمل .

(٣) مذكرة : تشبه الرجال وتبدى زينتها .

(٤) الورهاء : الخرقاء . وكثيرة الشحم . والحمقاء .

تزوجت بل ياليتي غنتُ مُخدَج (١)  
ولا تذر ما التقوى ولا ما التخرَج  
ثواب من مرّت به لا تخرَج  
مذكّرة مشهورة بالتبرج  
مُفرّكة هوجاء من نسل أهوج  
ثلاثا بتاتاً فاشهدوا لا ألجلج

ويا ليتي أعمى أصمّ ولم أكن  
فواحدة لا تعرف الله ربّها  
وثانية حمقاء تزي مخانة  
وثالثة ما إن توارى بثوبها  
ورابعة ورهاء في كل أمرها  
فهنّ طلاق كلهنّ بوائن

فضحك الحجاج وقال :

ويلك كم مهزّتهنّ ؟

قال : أربعة آلاف أيها الأمير !

فأمر له باثني عشرة ألف درهم .

### \* فَطَانَة وَكِياسَة

حكى أن أعرابياً كان له أربع نسوة ، فأراد يوماً أن يختبر عقولهن ..

فبدأ بالصغرى ، وقال لها :

إذا كان الصبح فأيقظيني . فلما دنا الصبح قالت : قد دنا الصبح !

قال : وما يدريك ؟

قالت : غارت صغارُ النجوم ، وبقي أحسنها ، وأضوؤها ، وأكبرها .

وبرد الحليّ على جسدي ، واستلذذت باستنشاق النسيم !

فقال لها : إن في ذلك دليلاً .

وفي الليلة الثانية : قال للتي تليها مثل مقالته الأولى ، فلما دنا الصبح ، أيقظته ،

فقال لها :

وما يدريك ؟

قالت : ضحكت السماء من جوانبها !

(١) أخدج : ناقص .

ولم تبق نابتة إلا فاحت روائحها !

وعينى تطالبني بإغفاءة الصباح !

فقال : إن في ذلك دليلاً .

وفي الليلة الثالثة : قال للتي تليها مثل ذلك ؛ فلما دنا الصبح أيقظته ، فقال لها :

وما يدريك ؟

فقلت : لم يبق طائر إلا غرّد !

ولا ملبوس إلا برد !

وقد صار للطرف في الليل مجال . وليس ذلك إلا من دنوّ الصباح . فقال : إن

في ذلك دليلاً ، وأثنى عليهن جميعاً !

وفي الليلة التالية : قال للرابعة مثل ما قال لهن . فلما دنا الصبح ، قالت له : قم

فقد دنا الصبح !

فقال لها : وما يدريك ؟

قالت : أبت نفسى النوم ، وطالبني فمى بالسواك ، واحتجت إلى الوضوء !

فقال لها : أنت أقبحهن وشفأ!! وسرّحها سراحاً جميلاً !

وقد تقول : إنها ذات دين .. !! ولكنها لم تحسن الكلام ولم تراع الجانب

النفسى والجمالى !!

## \* وَلَبَسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي .. !

نشأت « ميسون أم يزيد <sup>(١)</sup> » بنت بَحْدَل بن أنيف الكلبي « في حجر أبويها

بصحارى نجد <sup>(٢)</sup> ، وشبت على الجمال الرائق ، والأدب الفائق ، واشتهرت بهما

---

(١) يزيد هو أبو خالد بن معاوية ولد سنة ٢٦ هـ ببادية نجد عند جده لأمه ، فنشأ هناك ، وتفصح ، ونظم الشعر ، ولما كبر استدعاه أبوه ، ودرّبه على أمور المملكة وفنون السياسة ، ثم لما مات أبوه أخذ هو بزمام الخلافة ، وكان كثير الميل إلى اللهو غير أهل للخلافة . مات سنة ٦٤ هـ .

(٢) نجد : إقليم يشغل جميع الجزء الأوسط من شبه الجزيرة العربية .

حتى بلغ أمرها « معاوية بن أبي سفيان » ، فخطبها من أهلها ، وتزوجها .  
ثم أتى بها دمشق ، وأحلّها قصرًا فخماً ، واستحضر لها من الثياب الفاخرة  
الحريرية ، وغيرها ما لم يخطر ببالها ، وهي بين شائها <sup>(١)</sup> ، وجمالها .  
واستجلب لها أمهر الطّهاة <sup>(٢)</sup> ، من الروم ، والفرس ، لطبخ ما تشتهي من  
ألد الأطعمة .

ودعا إليها نساء الوجهاء وبناتهن لمجالستها .  
وخصص عددا عظيماً من الجوارى لخدمتها ، وترويح <sup>(٣)</sup> بالها ، وعوضها من  
كلاب أبيها حُرّاس خبائه قطاطاً لطيفة ، يسرها منظرها ، وأعد لها بغلاً مطّهماً <sup>(٤)</sup>  
تركبه حسب إرادتها .

وبالجملة ، لم يترك شيئاً مما تطمح إليه العين ، وتطمع فيه النفس إلا جعله  
ميسوراً لديها ، مقصوراً عليها !

ولكن تلك الإقامة مع ترفها <sup>(٥)</sup> ، ونعيمها لم تُرق في عينها <sup>(٦)</sup> ؛ فقد أخذت  
تندب حالها ، وتحن إلى أوطانها ، حنين الإبل إلى أعطانها <sup>(٧)</sup> .

وتذكر أترابها اللاتي طالما لاعتبتن في صحارى نجد ، وسابقتن حافية على  
رمالها ، طليقة كأنها غزالة ثارت من كِناس <sup>(٨)</sup> ، أمها .

فكان معاوية يحاول أن يُصبرها عن ذلك تارة بزيادة اعتنائها بها ، وأخرى بأن  
يذكر لها حالتها الأولى ، ويقابلها بما صارت إليه من رفع الشأن وسعة السلطان .

---

(١) الشاء : جمع شاه . وهي الغنم .

(٢) الطّهاة : جمع طاهٍ ، وهو الطباخ .

(٣) التسمية عنها ، وإدخال الفرح والسرور عليها .

(٤) مطّهماً : أصيلاً .

(٥) ترفها : تنعمها .

(٦) لم تخل لها .

(٧) الأعطان جمع عَطَنَ بفتح الأول والثاني ، وهو مناخ الإبل حول الماء . والجمال لا تزال تحن إلى

عظنها ؛ لأنها تستريح فيه بعد ريثها .

(٨) كناس الغزالة : مأواها .

حتى إذا جلست ذات يوم في غرفة من قصرها الواسع ، وقد ليست أجمل حُلِيِّها ، وأثمن حُلِيِّتها ، وحوها الجوارى والسيدات ، وهى تسرح أنظارها <sup>(١)</sup> على الغُوطَة <sup>(٢)</sup> متأملَة في تنسيق أشجارها <sup>(٣)</sup> ، متلذذَة بتغريد أطيارها ، تذكرت «نجداً» مسقط رأسها ، فتنفست الصُّعداء <sup>(٤)</sup> .

وارتجلت هذه الأبيات العراء ، تفضل بها حياتها البدوية على جميع ماصارت إليه من الرفاهية الحضرية <sup>(٥)</sup> ، قالت :

|                                         |                                                       |
|-----------------------------------------|-------------------------------------------------------|
| لَبِيتُ تُخْفِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ     | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ <sup>(٦)</sup>    |
| وَلُبَسُ عِبَاءَةٍ وَتَقَرُّ عَيْنِي    | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ <sup>(٧)</sup> |
| وَأَكُلُ كُسَيْرَةٍ فِي كِسْرِيَّتِي    | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَكْلِ الرِّغِيفِ <sup>(٨)</sup> |
| وَأَصْوَاتُ الرِّيحِ بِكُلِّ فَجٍّ      | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَقْرِ الدَّفُوفِ <sup>(٩)</sup> |
| وَكَلْبٌ يَنْحُ الطَّرَاقَ دُونِي       | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قِطِّ أَلِيفٍ <sup>(١٠)</sup>    |
| وَبَكْرٌ يَتَبَعُ الْأَطْعَمَانَ صَعْبٌ | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ بَعْلِ زَفُوفٍ <sup>(١١)</sup>   |
| وَبَعْلٌ مِنْ بَنَى عَمَى ضَعِيفٌ       | أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ مَلِكٍ عَنِيفٍ                   |
| فَمَا أَبْغَى سِوَى وَطْنِي بَدِيلًا ؛  | فَحَسْبِي ذَاكَ مِنْ وَطْنٍ شَرِيفٍ                   |

واتفق أن معاوية كان على بابها وقت إنشادها هذه الأبيات ؛ ففهم معناها ، وفطن إلى مرماها ، وتأثر منها ، واغتاظ من إنكارها جميله ، فدخل عليها ، وقال

---

(١) تسرح أنظارها : تمّدها . (٢) الغُوطَة : إحدى حدائق العالم الجميلة بدمشق .  
 (٣) تنسيق : تنظيم . (٤) الصُّعداء : بضم الصاد والمذ : تنفس محدود .  
 (٥) الرفاهية الحضرية : هى سهولة المعيشة التى فى المدن عادة وما فيها من وسائل الحضارة ومظاهرها .

(٦) الأرواح : الرياح . جمع ريح .. الهواء .  
 (٧) الشُّفُوف : جمع شَف . وهو الثوب الرقيق .  
 (٨) كُسَيْرَة : تصغير كُسرة . وهى القطعة من الخبز ، وكسر البيت : جانب منه .  
 (٩) الفج : الناحية . والدفوف : جمع دف . آلة الطرب المعروفة مركبة من إطار خشبى على جلد رقيق .  
 (١٠) الطَّرَاق : جمع طارق ، وهو الآتى ليلاً . تريد بهم اللصوص .  
 (١١) البكر : الفتى من الإبل . والأطعمان جمع ظعن ، وهو الجمال تركبه المرأة فهى ظعينة . والزَّفُوف : الحسن المشى السريع .

لها : « كُنْتُ فَيَنْتِ » <sup>(١)</sup> .

فقال له : « لا والله ما سررنا إذ كُنَّا ، ولا أسفنا إذ بنا » فألحقها بقومها .

### \* أربع ضرائر يصفن أنفسهن <sup>(\*)</sup>

حدث الأصمعي قال :

كان عند أعرابي أربع نسوة :

كندية ، وغسانية ، وشيبانية ، وغنوية ؛ والأعرابي غساني .

وَكُنَّ مَتَظَاهِرَاتٍ عَلَى الْغَنَوِيَّةِ ؛ فَجَمَعَ بَيْنَهُنَّ ثُمَّ قَالَ : لَتَقُلَّ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ قَوْلًا تَصِفُ بِهِ نَفْسَهَا :

فقال الكندية :

وصفُو المُدَامَةِ والسَّلْسِيلِ  
كمثل اللآلئ وعين كحيل

كأني جنى التحل والزنجيل  
يزين سنا الوجه لي مبسم

وقالت الغسانية :

نصفاً قضيماً ونصفاً كُثِيماً <sup>(١)</sup>  
جمالاً وملحاً وحسناً عجيباً

براني إلهي إله السما  
وألبسني ما يسوء الحسود

وقالت الشيبانية :

من كبد السماء نجوم الدجى <sup>(٢)</sup>  
ت فمن نالني نال فوق المنى

أفوق النساء إذا ما اجتمع  
ويقصر عني جميع الصفا

وقالت الغنوية :

فقد خلق الله مني الجمالا

تزود بعينك من بهجتي

(١) أي كنت زوجة فأصبحت بائة أي مطلقة .

(\*) بلاغات النساء ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) الملح : الملاحه . ونصفها الأعلى كعود البان أما الأسفل فهو ككثير زمل من الكُثبان ضخمة العجيزة .

(٣) أي كما يفوق بدر السماء نجوم الدجى .

إذا ماتفرست في رؤيتي رأيت هلالاً وأحوى غزالاً (١)

## \* يأيها القاضي !!..

ذكر الزبير بن بكار قال :

أتت امرأة إلى عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - فقالت : يا أمير المؤمنين ، إن زوجي يصوم النهار ويقوم الليل ، وأنا أكره أن أشكوه ، وهو يعمل لطاعة الله عز وجل !

فقال لها : نعم الزوج زوجك !

فجعلت تكرر عليه القول ، ويكرر عليها الجواب .

فقال له : كعب الأسدي : يا أمير المؤمنين ، هذه المرأة تشكو زوجها من مباحده إياها عن فراشه ؟! فقال عمر : كما فهمت كلامها فاقض بينهما .

فقال كعب : علّي بزوجه ، فأتى به ، فقال له : إن امرأتك هذه تشكوك !

قال : أفى طعام أو شراب ؟!

قال : لا .

فقال المرأة :

|                           |                           |
|---------------------------|---------------------------|
| يأيها القاضي الحكيم رُشده | ألهى خليلي عن فراشى مسجده |
| رَهده في مضجعي تعبده      | فاقض القضا كعب ولا تُردده |
| نهاره وليله ما يرقده      | فلس في أمر النساء أحمده   |

فقال زوجها :

|                               |                               |
|-------------------------------|-------------------------------|
| زهدني في فرشها وفي الحجل      | أني امرؤ أذهلني ما قد نزل (٢) |
| في سورة النحل وفي السبع الطول | وفي كتاب الله تخويف جَلَل (٣) |

(١) الأحوى : الأسمر الشفتين .

(٢) الحجل : جمع خجلة بيت يزين للعروس . (٣) السبع الطول من البقرة إلى الأعراف ست . وبعضهم عد الأنفال وبراءة سورة واحدة . ومنهم من قال : يونس هي السابعة .

فقال كعب :

إِنْ هَا حَقًّا عَلَيْكَ يَارْجُلُ نَصِيْهَا فِي أَرْبَعٍ لِمَنْ عَقْلُ  
فَاعْطِهَا ذَاكَ وَدَعْ عَنْكَ الْعَلَلُ

ثم إن الله عز وجل ، قد أحل لك من النساء مثنى وثلاث ورباع ، فلك  
ثلاثة أيام ولياليهن ، تعبد فيهن ربك .

فقال عمر :

والله ما أدرى من أى أمريك أعجب ؟

أمن فهمك أمرهما ؟!

أم من حكمك بينهما ؟ !

اذهب فقد وليتك قضاء البصرة .

### \* كيف تسود قومك؟!\*

قالت حميدة بنت النعمان لزوجها رَوح بن زِنباع :

كيف تسود قومك وفيك ثلاث خصال :

أنت من جُذام !

وأنت جَبَان !

وأنت غَيُور !

فقال : أما جُذام ؛ فأنا من أرومتها !

وحَسْبُ الرجلِ سُودُذًا أَنْ يَكُونَ فِي أَرْوَمَةِ قَوْمِهِ <sup>(١)</sup> ! وأما الجُبْنُ ؛ فَإِنْ لِيَ نَفْسًا  
وَاحِدَةً ، وَلَوْ كَانَ لِيَ نَفْسَانِ لَجُدْتُ بِأِحْدَاهُمَا !

وأما الغَيْرَةُ ؛ فَأَمْرٌ لَا أُرِيدُ أَنْ أَشَارَكَ فِيهِ فَإِنَّ الْمَرْوَةَ تَتَحَقَّقُ بِالْغَيْرَةِ عَلَى الْمَرْأَةِ  
الْحَمَقَاءِ الْوُلُودِ مِثْلَكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ تَأْتِيَ بَوْلِدٍ مِنْ غَيْرِهِ تَرْبِيهِ فِي حَجَرِهِ !!

---

(١) الأرومة - وقد تضم همزتها - الأصل .

## \* أى الزوجين كان أفصح لساناً ؟!

أقبلت يوماً على « معاوية » وعنده وجوه قريش ، وأشراف العرب ، ومن بينهم « أبو الأسود الدؤلى » إمام النحو .

فقلت : السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ورحمة الله وبركاته .

إن الله جعلك خليفةً فى البلاد ، ورقياً على العباد ، يُستسقى بك المطر ، ويُستنبث بك الشجر <sup>(١)</sup> ، وتؤلف بك الأهواء <sup>(٢)</sup> ، ويأمن الخائف ، ويردع بك الجانف <sup>(٣)</sup> ، فأنت الخليفة المصطفى ، والإمام المرتضى ، فأسأل الله لك النعمة ، فى غير تغيير ، والعافية من غير تكدير !

لقد أُلجأتى إليك يا أمير المؤمنين أمرٌ ضاق علىّ فيه المنهج <sup>(٤)</sup> ، وتفاقم علىّ فيه المخرج <sup>(٥)</sup> ، لأمر كرهت عازره ، لما خشيت إظهاره !

فلينصفنى أمير المؤمنين من الخصم ، فأنى يعدّله من العار الويل <sup>(٦)</sup> ، والأمر الجليل ، الذى يشتد على الحرائر ذوات البعول الأجائر <sup>(٧)</sup> .

قال معاوية : ومن بعلك الذى تصفين من أمره المنكر !

قالت : هو « أبو الأسود الدؤلى » جليستك يا أمير المؤمنين .

فالتفت معاوية إلى أبى الأسود ، وقال له : ماتقول هذه المرأة ؟

فقال : هى تقول من الحق بعضها ، ولن يستطيع أحد عليها نقضاً !

أما ما ذكرت من طلاقها فهو حق ، وأنا مخبر أمير المؤمنين عنه بالصدق !

---

(١) أنت مصدر الخير فى المحن والشدائد ، ولاعجب فأنت تقدمهم فى صلاة الاستسقاء .

(٢) أنت جامعهم ، ومؤلف بين قلوبهم .

(٣) الجانف : الآثم والمعدى .

(٤) المنهج : الطريق .

(٥) صعب واشتد على الخروج من ذلك الأمر وتلك المشكلة ، وهى تشير إلى ما كان من طلاقها !

(٦) الويل : الشنيع والمهلك .

(٧) الأجائر : الظالمين من الجور .

والله يا أمير المؤمنين ، ما طلقتهما عن ربيّة (١) ظهرت ، ولا لأى هفوة (٢)  
حضرت ، ولكنى كرهت شمائلها ، فتقطعت عنى حبائلها !  
فقال معاوية : وأى شمائلها يا أبا الأسود كرهت ؟

قال : يا أمير المؤمنين !

إنك مُهَيِّجُهَا عَلَىٰ بجواب عتيد ، ولسان شديد ! فقال معاوية : لا بدّ لك من  
محاورتها ، فاردد عليها قولها عند مراجعتها .

فقال : يا أمير المؤمنين !

انها كثيرة الصخب دائمة الذّرب (٣)

مُهَيِّةٌ للأهل ، مؤذيةٌ للبعل ، مسيئةٌ إلى الجار ، مُظْهِرةٌ للعار ، إن رأيت خيراً  
كتمته ، وإن رأيت شراً أذاعته !

فقالت : والله لولا مكان أمير المؤمنين ، وحضور من حضره من المسلمين  
لرددت عليك بوادِرَ كلامك ، بنوافذٍ أقرع (٤) بك كل سهامك .

وإن كان لا يجمل بالمرأة الحرة أن تشتم بعلا ، ولا أن تظهر لأحد جهلاً (٥) .

فقال معاوية : أناشدك أن تحببى وتردى عليه !

فقالت : يا أمير المؤمنين ! ما علمته إلا مستوًّلاً جهولاً ، مُلِحّاً بخيلاً ، إن  
قال فشرُّ قائل ، وإن سكت فذو دغائل (٦) !

لَيْثٌ (٧) حين يأمن ، وثعلب حين يخاف ، شحيح حين يضاف .

إن ذكر الجود انقمع (٨) ، لما يعرف من قصر رشائه (٩) ولو لم آياه !

---

(١) ربيّة : شبهة وشك . (٢) هفوة : غلطة وسقطة .

(٣) الصخب : علو الصوت واختلاطه والصياح . وطول اللسان هو الذّرب والرجل ذّرب وذّرب  
والمرأة ذّرية .

(٤) تقصد أنه لولا احترام المجلس لردت عليه عبارات تبطل كل حجمه وتسكته !

(٥) إساءة وحقاً . (٦) أحقاد .

(٧) ليث : أسد . (٨) انقمع : تغيب ودخل وراء ستر خجلاً وبخلًا

(٩) والرشاء : الحبل يربط به الدلو لإحضار الماء من البئر . وقصره كناية عن قصيره وتخلفه في  
مجال الكرم .

ضيفه جائع ، وجاره ضائع ، لا يحفظ جاراً ، ولا يحمي ذِماراً<sup>(١)</sup> ولا يدرك ثاراً<sup>(٢)</sup> .

أكرم الناس عليه من أهانه ، وأهونهم عليه من أكرمه !  
فقال معاوية : سبحان الله لِمَا تَأْتِي به هذه المرأة من السجع !  
فقال له أبو الأسود : أصلح الله أمير المؤمنين ؛ إنها مطلقة ! ومن أكثر كلاماً من مطلقة ؟!

فقال لها معاوية : إذا كان المساء فتعالى أفصل بينك وبينه بالقضاء .  
فلما كان المساء جاءت ومعها ابناها قد احتضنته ، فلما رآها أبو الأسود ، قام إليها ليتزعم ابنه منها ، فقال له معاوية : يا أبا الأسود ! دعها تنطق بحجتها ولا تُعجلها !

قال : يا أمير المؤمنين ؛ أنا أحق بحمل ابني منها .  
فقال له معاوية : يا أبا الأسود ؛ دعها تتكلم ، فقالت : أصلح الله الأمير ..

هذا ابني كان بطنى له وعاء ..  
وججري له فناء<sup>(٣)</sup> ..  
ونذبي له سقاء ..  
أكلوه إذا نام<sup>(٤)</sup> ..  
وأحفظه إذا قام ...  
فلم أزل كذلك سبعة أعوام ..  
حتى كملت خصاله ..  
واستوكفت أوصاله<sup>(٥)</sup> ...  
فحين أمّلت نفقه ..

---

(١) الذمار : العهد . (٢) عاجز عن الأخذ بثأره .

(٣) كفناء البيت يتحرك فيه ويدرج .

(٤) أكلوه أحفظه وأسهر على رعايته ..

(٥) اشتد ساعده وقويت عضلاته وقاسك .

وَرَجَوْتُ دَفْعَهُ (١) ..  
 أَرَادَ أَنْ يَأْخُذَهُ مِنِّي !!  
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، عَلَيْهِ !  
 فَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ :  
 أَصْلَحَكَ اللَّهُ !  
 هَذَا ابْنِي ..  
 حَمَلْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَحْمِلَهُ ..  
 وَوَضَعْتُهُ قَبْلَ أَنْ تَضَعَهُ ..  
 وَأَنَا أَقُومُ عَلَيْهِ فِي أَدَبِهِ  
 وَأَنْظُرُ فِي أَوْدِهِ  
 أَمْنَحُهُ جِلْمِي ..  
 وَاللَّهُمَّ عَلِّمْنِي ..  
 حَتَّى تَحْكُمَ عَقْلُهُ (٢) ، وَاسْتَحْكَمَ قَتْلُهُ (٣)  
 فَقَالَتْ : أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرُ .. صَدَقَ .. حَمَلَهُ خِفًا وَحَمَلْتُهُ ثِقَلًا .. وَوَضَعَهُ  
 شَهْوَةً وَوَضَعْتُهُ كَرْهًا ..  
 فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : ارْجِعْ عَلَى الْمَرْأَةِ وَلِدَهَا ، فَهِيَ أَحَقُّ بِهِ مِنْكَ !  
 وَدَعْنِي مِنْ سَجْعِكَ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ !!

### \* مَا هَكَذَا تَوَرَّدَ يَاسَعِدُ الْإِبِلُ !!

مِنْ حَقَقِي الْعَرَبُ :  
 زَهِيرُ بْنُ جَنَابِ الْكَلْبِيِّ وَمَالِكُ بْنُ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ تَمِيمٍ وَكَانَ يَرْعَى عَلَى أَخِيهِ سَعْدِ  
 ابْنِ مَنَاةَ ، فَزَوَّجَهُ أَخُوهُ وَهُوَ غَائِبٌ عَنْهَا « نَوَّارُ بِنْتُ جَلٍّ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ »

(١) دَفَعَهُ : سَعِيَهُ وَكَفَّاحَهُ .

(٢) الْأَوْدُ : يُقَالُ : أَقَامَ أَوْدَهُ : أَيْ أَصْلَحَ اعْوَجَاجَهُ .

(٣) تَحْكَمَ عَقْلَهُ : صَارَ مُحْكَمًا .

(٤) أَصْبَحَ قَوِيًّا .

فلما رجع من الإبل مُنْسِياً دخل عليها ، وُعْلِبَتْه في يده ، ونعلاه في رجله ،  
وكساؤه على منكبه ، فجلس ناحية ينظر إليها ؟

فقلت : ضع نُعْلَيْكَ .

فقال : رجلاي أحرزُ لهما .

قلت : ضع عُلَيْتِكَ .

قال : يدي أحفظُ لها .

قلت : ضع كِسَاءَكَ .

قال : عاتقي <sup>(١)</sup> أحمل له .

فأعطته طيباً فأهوى به إلى استه <sup>(٢)</sup>

فقلت : ادھُنْ به وجهك .

فقال : أطيّب به مناتني أولى .

فدنت منه وقد تطيب وتعطرت ، فانتشر عليها ؛ فتجلّلتها <sup>(٣)</sup> ؛ فلما أصبح غدا  
عليه سعد ، فقال له :

يا مالٍ <sup>(٤)</sup> اغدُ على إبلك ، فقال :

والله لا أرهاها أبداً ، اطلب لها راعياً سواي ! ؛ فأورد سعد إبله ، فانتشرت  
عليه <sup>(٥)</sup> ، فأنشأ يقول - ويُعرّض بأخيه مالك :

يظَلُّ يومَ وِزْدِها مُزْغَفَرًا وَهَيَّ خِناطيلُ تُجوسُ الخَضْرَا <sup>(٦)</sup>

فقلت له امرأته :

أخبئه . قال : وما أقول ؟

قلت : قل .

أوردها سَعْدٌ وَسَعْدٌ مُشْتَمِل      ما هكذا تورّدُ يا سَعْدُ الإبل

(١) العاتق ما بين المنكب والعنق .

(٢) الاست : المقعدة . وبعضهم يطلقها على فتحة الدبر . والطيب : العطر وما يطيب به من  
الروائح الجميلة .

(٣) تجلّلتها : علاها .

(٤) نادى حذف منه الحرف الأخير تخفيفاً أو تدليلاً ويسمى ذلك عند النحاة ترخيماً . كما قال ابن  
مالك في ألفيته : ترخيماً أحذف آخر المنادى كيأسعاً .. فيمن دعا سَعَادَا .

(٥) ذهب هنا وهناك . (٦) مزغفراً : معطراً بالزعفران . وخناطيل : متفرقة .

## \* بلاغتها كانت السبب في طلاقها !

الشرع يبيح للمسلم أن يتزوج أربعاً مادام قادراً على العدل بينهن ، وله أن يطلقهن إذا لم يحدث بينه وبينهن وفاق !

لكن صاحبنا هنا يقوم بطلاق خمس نسوة في وقت واحد فمن أين له الخامسة ؟ .. إليك قصته التي ذكرتها كتب الأدب :

لقد كان سيء الخلق ، وكانت زوجاته الأربع في خلاف وشجار متواصل ليل نهار ، فقرر أن يتخلص منهن ، فأشار إلى إحداهن وقال :  
أنت طالق حيث كنتِ السبب في إشعال نار العداوة !  
فقال له صاحبها :

لقد تعجلت بطلاقها ، وكان يمكنك أن تؤدبها بغير ذلك !  
فقال لها : وأنت أيضاً طالق !

فقال له الثالثة : قبحك الله .. لقد أخلصت لك ، وقامتاً بخدمتك خير قيام ،  
فهل كان هذا هو الجزاء ؟!  
فقال لها : وأنت أيضاً طالق !

فقال الرابعة : لقد ضاق صدرك عن أن تؤدب نساءك إلا بالطلاق ، وذلك  
لا يدل إلا على ضعفك !  
فقال لها : وأنت أيضاً طالق !

ولكن جارة هن شهدت هذه الواقعة وسمعت ما كان منه ومنهن ، فراحت  
تعاتبه قائلة :

لقد تسرعت وتعجلت ، وسوف يعيرك الناس بذلك ! هل يطلق رجل نساءه  
الأربع في ساعة واحدة ؟ إن هذا لعجيب !  
فقال لها الرجل :

وأنت أيتها المحامية البليغة طالق أيضاً - إن أجاز زوجك -

فأجابه زوجها - على الفور - من داخل الدار: قد أجزت !!  
فراح الناس يتحدثون بأمر الرجل الذى طلق خمساً فى ساعة واحدة بينما هو  
لا يملك إلا أربعاً !!

### \* عندما تبسّم الحجاج !

وجّه الحجاج إلى هند ابنة إسماعيل بن خارجة من يخطبها ووجه إليها ثلاثين  
غلاماً مع كل غلام عشرة آلاف درهم ، وثلاثين جارية مع كل جارية صندوق  
ثياب وقال لها :

إنى أكره أن أبيت خلواً ومالى زوجة !!

فقالت : وما احتباسُ امرأة عن زوجها ، وقد ملكها وآتاها صداقها ،  
وكرامتها ؟!

ثم أصلحت من شأنها ، وأتته من ليلتها !

قال المدائنى : بلغنى عن المرأة التى تولت زفّها أنها قالت : دخلنا على الحجاج  
وهو فى بيت عظيم ، فى أقصاه ستارة ، وهو دون الستارة على فرشه ، فلما  
دخلتُ عليه سلّمتُ ، فأوماً إلّى بقضيب كان فى يده ، فجلست عند رجله ،  
ومكث ساعة لا يتكلّم ونحن وقوف ، فضربت بيدها على فخذه وقالت :  
« ليس هذا وقت سوء الخلق !! »

فتبسّم ، وأقبل عليها ، واستوى جالساً ، فدعونا له ، وأرخينا الستور عليهما !!

### \* شقاوة امرأة !

كانت هند ابنة النعمان أحسن أهل زمانها ، فوصِفَ للحجاج حسنُها فأنفذ  
يخطبها ، وبذل لها جزيلاً ، وتزوج بها ، وشرط لها عليه بعد الصداق ، مائتى  
ألف درهم ، ودخل بها ، ثم انحدرت معه إلى بلد أبيها بالمعرة مدة طويلة ، ثم

رجل بها إلى العراق ، فأقامت معه ماشاء الله ، ثم دخل في بعض الأيام وهي تنظر في المرأة وتقول :

وما هـذا إلا مُهْرَةٌ عريضة      سليلَةٌ أفراسٍ تجلَّلُها بَغْلُ<sup>(١)</sup>  
فإن ولدت فعلاً فله ذُرُّها      وإن ولدت بَغْلاً فجاء به البغل !

فانصرف الحجاج راجعاً ، ولم يدخل عليها ، ولم تكن علمت به !  
فأراد الحجاج طلاقها ، فأنفذ إليها عبد الله بن طاهر ، وأنفذ لها معه مائتي ألف درهم ، وهي التي كانت لها عليه ، وقال : يابن طاهر !  
طلَّقها بكلمتين ، ولا تَزِدْ عليهما ، فدخل عبد الله بن طاهر عليها فقال لها :  
يقول لك أبو محمد الحجاج :  
كُنْتُ فِينْتُ<sup>(٢)</sup> !

وهذه المائتا ألف درهم التي كانت قبْلَه .

فقالت : اعلم يابن طاهر :

أنا - والله - كنا فما حمدنا ، وبنا فما ندمنا ! وهذه المائتا ألف درهم التي  
جئت بها بشارة لك بخلاصى من كلب بنى ثقيف !  
ثم بعد ذلك بلغ أمير المؤمنين عبد الله بن مروان خبرها ، ووُصِفَ له جمالها ،  
فأرسل إليها يخطبها !

فأرسلت إليه كتاباً تقول فيه بعد الشاء عليه :

اعلم يا أمير المؤمنين أن الإناء وَلَغَ فيه الكلب !

فلما قرأ عبد الملك الكتاب ضحك من قولها ، وكتب إليها يقول :

إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبعة أحداهن بالتراب !

فاغسلى الإناء يحل الاستعمال !

---

(١) تجلَّلها : علاها

(٢) أى كنت زوجة له فأصبحت مطلقة طلاقاً باتناً غير رجعى .

فلما قرأت كتاب أمير المؤمنين لم تستطع مخالفته ، فكتبت إليه بعد الشاء عليه :  
يا أمير المؤمنين ، والله لا أحل العقد إلا بشرط ! فإن قلت : ما هو الشرط ؟  
قلت : أن يقود الحجاج مَحْمَلِي من المَعْرَةِ إلى بلدك التي أنت فيها ، ويكون  
ماشياً حافياً بجِلَّتِهِ التي كان فيها أولاً . فلما قرأ عبد الملك ذلك ضحك ضحكاً  
شديداً ، وأنفذ إلى الحجاج وأمره بذلك .

فلما قرأ الحجاج رسالة أمير المؤمنين أجاب وامثل الأمر ، ولم يخالف ، وأنفذ إلى  
هند يأمرها بالتجهز .

فتجهزت ، وسار الحجاج في موكبه حتى وصل المعرة بلد هند . فركبت هند في  
محمل الزفاف ، وركب حولها جواربها ، وخدمها ، وأخذ الحجاج بزمام البعير يقوده  
ويسير بها .

فجعلت هند تتواغد عليه ، وتضحك مع الهيفاء دايتها ، ثم قالت للهيفاء :  
ياداية ، اكشفي لي سجف المحمل ، فكشفته ، فوقع وجهها في وجه الحجاج ،  
فضحكت عليه ، فأنشأ يقول :

فإن تضحكى متى فيا طول ليلة      تركتُك فيها كالقباة المفرج  
فأجابته هند تقول .

وما تبالي إذا أرواحنا سَلِمَتْ      بما فقدناه من مالٍ ومن نَشَبٍ  
فالمال مكتسبٌ ، والعزّ مرْتَجِعٌ      إذا النفوسُ وقاها الله من عَطَبٍ !

ولم تزل كذلك ، تضحك ، وتلعب إلى أن قربت من بلد الخليفة، فرمت بدينار  
على الأرض ، ونادت : يا جَمَال ! إنه قد سقط منا درهم فارفعه إلينا ! فنظر الحجاج  
إلى الأرض فلم يجد إلا دينارا ، فقال : إنما هو دينار !

فقالت : بل هو درهم !

قال : بل هو دينار !

فقالت : الحمد لله سقط منا درهم فعوضنا الله ديناراً فحجل الحجاج ،

وسكت ، ولم يرد جواباً !

ثم دخل بها على عبد الملك بن مروان فتزوج بها !

### \* من غرة النساء بوذ !!

قال الهيثم بن عدى :

غزا الغسانی الحارثَ بْنَ عَمْرِو آكلَ المرار الكندي في منزله فلم يُصِبه !  
فأخذ ما وجد له ، واستاق امرأته ، فلما أصابها <sup>(١)</sup> أُعْجِبَتْ به !!  
وقالت له : أُنْجُ بنفسك ، فوالله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاعِراً فاه كأنه بعير آكل  
المِرار !!

وبلغ الحارث ذلك فأقبل يتبعه حتى لحقه فقتله ، وأخذ ما كان معه ، واستعاد  
امرأته !

فقال لها : هل كان قد أصابك !؟

قالت : نعم ، فوالله ما اشتملت النساء على أطيب منه قط !!

فأمر بها فأوقفت بين فرسين ، ثم استحضرهما حتى قطعاهما !!

ثم أنشأ يقول :

كل أنثى وإن بدالك منها      آية الود حُبها خَيْثُور <sup>(٢)</sup> !  
إن من غرة النساء بوذ      بعد هند لجاهل مغرور !!

### \* عُلَيَّة بنت المهدي

كانت علية لطيفة المعنى ، رقيقة الشعر ، حسنة مجارى الكلام .

عَلِقَتْ بغلام اسمه رشا ، وفيه تقول :

(١) جامعها .

(٢) امرأة خيثور : لا يندوم وُدّها !

أضحى الفؤاد بزنباً صيًّا كهيَّا مُتَعَبَا  
فجعلتْ زنبَ سُنْرةً وكمّتْ أَمراً مُفْجِئاً  
فُئِمى الأمر إلى أخيها الرشيد فأبعده ، وقيل قتله ! وعَلِقتْ بعده بغلام اسمه  
« طَلَّ » .

فقال لها الرشيد : والله لمن ذكرته لأقتلنكِ !  
فدخل عليها يوماً على حين غفلةٍ وهى تقرأ : فإن لم يُصِبْها وابل « فما نهى عنه  
أمير المؤمنين » !  
فضحك وقال :  
ولا كل هذا !!

### \* ما وراء الحليّ !!

قال ابن الجهم : اشتريت جاريةً فكنتُ إذا أردت أن أحلّيها <sup>(١)</sup> تأبى ذلك  
وتقول :

إنه يُعْطَى المحاسن ؛ كما يستر القبائح !  
وحكى عنه ابن الجوزى فى الأذكياء قال : قلت لهذه الجارية :  
كم بيننا وبين الصبح !  
قالت : عناق مُشتاق !  
قال : ونظّرت يوماً إلى الشمس فى حالة كسوفها ، فقالت : احتشمت من  
محاسنى فائتَقَبْتُ <sup>(٢)</sup> .  
قال : وقلتُ لها يوماً :

تعالنى نجلس فى هذا القمر !  
فقالت : ما أوْلَعَكَ بالجمع بين الضرائر <sup>(٣)</sup> !!

---

(١) أزينها بالجواهر والحلى وغيرها .  
(٢) غطت وجهها كناية عن الكسوف !  
(٣) جمع ضرة وهى الزوجة الأخرى !

## \* سر إضرابها عن الزينة والكحل (\*)

تزوج الحسن بن علي رضوان الله عليهما : حَوْلَةَ بنت منظور .  
فأقامت عنده حَوْلًا<sup>(١)</sup> لا تكتحل ولا تتزين حتى ولدت له ابناً ، فدخل عليها  
وقد تزينت فقال : ما هذا ؟  
قالت : خفت أن أترين وأتصنع<sup>(٢)</sup> ؛ فيقول النساء ، تجملت فلم تر عنده  
شيئاً ، فأما وقد جاء هذا فلا أبالي !!  
فلما مات جرعت عليه جزعاً شديداً !  
فقال أبوها منظور :

بُئِثَتْ حَوْلَةُ أَمْسٍ قَدْ جَزَعَتْ      مِنْ أَنْ تَتَوَبَّ نَوَائِبَ الدَّهْرِ !  
لَا تَجْزَعِي يَا حَوْلُ وَاصْطَبِرِي      إِنْ الْكَرَامَ بُنُوا عَلَى الصَّبْرِ

## \* معجبة بجمالها

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي :  
خَدَعُوهَا بِقَوْلِهِمْ : حَسَنَاءُ      وَالْفَوَائِي يَغْرِهُنَّ الشُّأَاءُ !  
وما أحسن موقف التابعي الجليل : عُبيد بن عمير المكي قاصّ أهل مكة المتوفى سنة  
٦٨ من الهجرة !

لقد اشتهر بمتانة دينه وصلاحه ، وكان فصيحاً بليغاً يجلس الصحابي عبد الله  
ابن عمر في حلقاته ، ويكي متأثراً بكلامه وصلاحه !

فقد جاءته امرأة جميلة معجبة بجمالها تريد أن تفتنه عن دينه وصلاحه .  
فأخرجها من أن تكون فاتنة من الفاتنات إلى أن تكون عابدة من العابدات ،  
وردها إلى الله بالفهم لنعمه ، وحسن الشكر له سبحانه . قال العجلي في كتابه

« الثقات » :

(\*) أُمَالِي الرَّجَاجِ . (١) عَامَا . (٢) أَتَصْنَعُ : أَتَجَمَّلُ .

حدثني أبو عبد الله قال :

« كانت امرأة جميلة بمكة ، وكان لها زوج ، فنظرت يوماً إلى وجهها في المرأة ، فقالت لزوجها :

أترى أحداً يرى هذا الوجه ولا يُفتن به ؟

قال : نعم

قالت : من ؟

قال : عُبيد بن عمير .

قالت : فأذن لي فيه لِأَفْتَنَهُ !

قال : قد أذنت لك !

فأتته ؛ فاستفتته ، فخلا معها في ناحية من المسجد الحرام ، قال :

فأسفرت عن مثل فَلَقَةِ القمر !

فقال لها : يَا أُمَّةُ ، اتقى الله !

قالت : إني قد فُتِنْتُ بك ، فانظر في أمري !

قال : إني سائلُكَ عن شيء ، فإن أنت صدقتَ نظرتُ في أمرك !

قالت : لا تُسَلِّني عن شيء إلا صدَّقْتُكَ .

قال : أخبريني ، لو أن ملك الموت أتاك ليقبضَ رُوحَكَ أكان يسرك أن قضيت

لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت !

قال : فلو أن الناس أعطوا كتبهم ، ولا تدرين أتأخذين كتابك يمينك أم

بشمالك ؟

أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت !

قال : فلو أردتَ الممرَّ على الصراط ، ولا تدرين أتنجين أم لا تنجين !

أكان يسرك أني قضيت لك هذه الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت !

قال : فلو جىء ا-وازين ، وجىء بك لا تدرين تخفين أم تثقلين !

أكان يسرك أنى قضيت لك هذه الحاجة ؟!

قالت : اللهم لا !

قال : صدقت .

قال : فلو وقفت بين يدي الله للمساءلة ، أكان يسرك أنى قضيت لك هذه

الحاجة ؟

قالت : اللهم لا .

قال : صدقت !

قال : فاتقى الله يا أمة الله ؛ فقد أنعم الله عليك ، وأحسن إليك !

قال : فرجعت إلى زوجها . قال : ماصنعت ؟

قالت : أنت بطل ، ونحن بطالون !

فأقبلت على الصلاة ، والصوم ، والعبادة ؛ فكان زوجها يقول :

مالى ولعبيد بن عمر أفسد على امرأتى !!

ولقد صدق من قال :

مَا الْكَيْمًا قَلْبُ الْحَجَارَةِ فِضَّةٌ      بل أن تُزِيلَ الظُّلْمَةَ الْأَنْوَارُ !

### \* أيجب له أن يتزوج على مثلى ؟!

قال يونس بن عبيد :

صحبت الحسن البصرى ثلاثين سنة ، ما سمعته قط خاض فى شيء مما يخوض

فيه الناس من أمر الدنيا ، إنما كان أكثر ذكره الموت ! حتى أتته امرأة يوماً ناهيك

من امرأة <sup>(١)</sup> شباباً وجمالاً وشحماً ولحماً ، يدفع بعضها بعضاً !

(١) أى تنهاك وتصرفك عن النظر إلى غيرها بما هى عليه من جمال !

فجلست بين يديه وقالت :

يا شيخ ، أيجل للرجل أن يتزوج على امرأته وهى شابة جميلة ولود ؟

قال : نعم .

أحلّ الله له أربعاً .

قال : فكشفت عن وجهه لم ير مثله حسناً ، وقالت : أو على مثلى ؟

قال : نعم .

قالت : سبحان الله العظيم !

بعيشك يا أبا سعيد ، لا تُثَقِّ الرجال بهذا !

ثم قامت منصرفة ، وأتبعها الحسن البصرى بصره ثم قال : ماضر امراً كانت هذه عنده ما فاتته من دنياه !

### \* هكذا النساء العاقلات !

حدثنا أبو بكر بن الأنبارى قال أخبرنا عبد الرحمن عن عمه قال :

وصفت أعرابية زوجها بمكارم الأخلاق عند أمها فقالت :

يا أُمّة :

من نشر ثوبَ الشَّاء ، فقد أدّى واجبَ الجزاء !

وفى كتمان الشُّكر جحود لما وجب من الحق ، ودخول فى كفر النعم

فقالت لها أمُّها :

أى بُنيّة !

أطَبَّتِ الشَّاء ، وقمتَ بالجزاء ، ولم تدعى لِلنَّوم موضعاً ؛ إني وجدت مَنْ عَقَلَ

لم يَعْجَلْ بِذَمِّ ، ولا ثناء إلا بعد اختبار !

فقالت :

يا أُمّة ، ما مدحت حتى اخترت ولا وصفت حتى عرفت !!

## \* لا والله !! ما كنت لأطيعه حياً وأعصيه ميّتاً !!

لما تولّى عمرُ بن عبد العزيز الخلافة بعهد من سُليمانَ بن عبد الملك ، جعل يأخذ من المُكثَرين ويُعطى المُقلّين ، حتى عمّ الرخاء جميع الأرجاء ، وقد بدأ بنفسه ، وذوى قرابته من بنى أمية :

فدخل على زوجته فاطمة بنت عبد الملك ، وقال لها : يا فاطمة ، إن أردتِ صُحبتى ، فقدّمى كلّ مالديك من مالٍ ، وحُلّيتى ، وجواهرَ لبيت مال المسلمين فأنا لأجتمع أنا وأنت وهو فى بيت واحد !!

فقلت : هو ماتقول يا أمير المؤمنين ، وقدمته كلّ لبيت مال المسلمين ! فلما مات زوجها عمر بن عبد العزيز - رضى الله عنه - وتولى الخلافة بعده أخوها يزيد بن عبد الملك ، قال لها : أعلم أن عمرَ ظلمك !! وسأرد إليك كلّ ماأخذه منك ومثله ! فأبت وقالت :

لا والله ماكنت لأطيعه حياً وأعصيه ميّتاً !!

## \* جلال الصبر وقوة الإيمان

بلغت المرأة المسلمة الغاية من جلال الصبر وقوة الإيمان ، وهاهو ذا أنس بن مالك يحدث عن أمه أم سليم بنت ملحان الأنصارية زوج أبى طلحة زيد بن سهل قال : « مرض أخ لى من أبى طليحة يُدعى أبا عُمير . فبينما أبو طلحة فى المسجد ، مات الصبى ، فهيات أم سُلَيم أمره ، وقالت : « لا تُخبروا أبأ طلحة بموت ابنه » فرجع من المسجد وقد تطيّبت له ، وتصنّعت !

فقال : ما فعل ابنى ؟

قالت : هو أسكنُ مما كان .

وقد مت عشاءه ، فتعشى هو وأصحابه الذى قدموا معه ، ثم أتتا ليلتهما على أتم وأوفق ما يكون الزوجان . فلما كان آخر الليل قالت :  
يا أبا طلحة ، « ألم تر إلى آل فلان » ، استعاروا عاريةً ، فتمتعوا بها ، فلما طلبت إليهم شئ عليهم ؟  
قال : ما أنصفوا .  
قالت : فإن ابنك فلانا كان عاريةً من الله فقبضه إليه !

فاسترجع ، وحمد الله ، وقال :  
والله لأدعُكِ تَغْلِبينى على الصبر . حتى أصبح غداً على رسول الله ﷺ .  
فلما رآه قال :

« بارك الله لكما في ليلتكما » . فاشتملت تلك الليلة على عبد الله بن أبى طلحة ، ولم يمت عبد الله حتى رزق عشر بنين كلهم حفظ القرآن وأبلى في سبيل الله<sup>(١)</sup> .

## \* إيمان وثبات

● أتى عبيد الله بن زياد بامرأة من نساء الخوارج ممن عُرف عنهن رباطة نفوسهن ، وثبات قلوبهن ، وكان لها دور في قتاله ، والإغراء به .  
فبدأ يقطع رجلها ، وقال لها :

كيف ترين ؟!

فقالت : إن في الفكر في هول المطلاع ، لشغلاً عن حديدتكم هذه !

● وأتى الحجاج بأخرى منهن ، فجعل يكلمها وهي لا تلتفت إليه ، فقيل لها :  
الأمير يكلمك ، وأنت لا تنظرين إليه ؟!

فقالت :

إني لأستحي أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه ! فأمر بها فُقِلت .

---

(١) صحيح البخارى - الإصابة ج ٨ ص ٢٣٤ - ٢٤٤ وابن سعد ج ٧ ص ٣١٥ - ٣١٨ .

## \* تَعُدُّو الذَّنَابَ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ !

قال الهَيْثَمُ بْنُ عَدَى :

قَدِمْتُ امْرَأَةً مَكَّةَ ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا عَمْرُ بْنُ رَبِيعَةَ ،  
فَوَقَعْتُ<sup>(١)</sup> فِي قَلْبِهِ ، فَكَلِمَهَا فَلَمْ تَجِبْهُ ، فَلَمَّا كَانَ فِي اللَّيْلَةِ الثَّانِيَةِ تَعَرَّضَ لَهَا ،  
فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنَى<sup>(٢)</sup> ! .. فَاتَّكَ فِي حَرَمِ اللَّهِ !؟

وَفِي أَيَّامٍ عَظِيمَةٍ الْحَرَمَةِ !؟

فَالْحَ عَلَيْهَا ، فَخَافَتْ الشُّهْرَةَ !!

فَقَالَتْ لِأَخِيهَا فِي اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ :

اخْرُجْ مَعِيَ فَأَرِنِي الْمَنَاسِكَ ..

فَتَعَرَّضَ لَهَا عَمْرُ ؛ فَلَمَّا رَأَى أَخَاهَا مَعَهَا أَعْرَضَ عَنْهَا !

فَتَمَثَّلَتْ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

تَعُدُّو الذَّنَابَ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ      وَتَقْبَلِ صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي !



تُرَى مَا أَثَرُ هَذَا الْخَبَرِ فِي نَفْسِكَ !؟

لَقَدْ سَمِعَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ فَقَالَ :

وَدِدْتُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِتْنَةٌ مِنْ قَرِيشٍ إِلَّا سَمِعَتْ بِهَذَا الْخَبَرِ !!

## \* صَبْرٌ وَحِكْمَةٌ

حَكَى الْيَافِعِيُّ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ السَّرَّاجِ قَالَ :

خَرَجْتُ حَاجًّا إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، فَبَيْنَمَا أَنَا أَطُوفُ ، وَإِذَا بِامْرَأَةٍ قَدْ أَضَاءَ

حَسَنُ وَجْهِهَا فَقُلْتُ :

(١) أَعْجَبْتُهُ ، وَحَلَّتْ مِنْ قَلْبِهِ مَكَانُ الْإِعْجَابِ وَالْقَبُولِ .

(٢) ابْتَعَدَ .

والله ما رأيت كالיום قطّ نضارةً وحُسْنًا مثل هذه المرأة !  
وما ذلك إلا لقلة الهمّ والحزن .

فسمعت ذلك القول مِنى ، فقالت : كيفما قلت هذا يارجل ؟!  
والله إنى لو وثيقة بالأحزان ، مكلومة الفؤاد بالهموم والأشجان !

فقلت لها : وكيف ذلك ؟

قالت : ذبح زوجى شاةً ضحّى بها ، ولى ولدان صغيران يلعبان ، وعلى ثديى  
طفل يرضع ، فقمّت لأصنع طعاماً .

فقال ابنى الكبير لأخيه الصغير : ألا أريك كيف صنع أبى بالشاة ؟!

قال : بلى .

فأضجعه ، وذبحه ، وخرج هارباً نحو الجبل ، فأكله الذئب !

فانطلق أبوه فى طلبه ، فأدركه العطش فمات ! فوضعت الطفل ،  
وخرجت إلى الباب أنظر ما فعل أبوه ، فدب الطفل إلى الإناء وهو يغلى على  
النار فانقلب عليه ، فانتثر لحمه على عظمه !

فبلغ ذلك ابنة لى كانت عند زوجها فسقطت مغشياً عليها فوافقت أجلها !

فأفردنى الدهر من بينهم !

فقلت لها : فكيف صبرك على هذه المصائب ؟

فقالت : ما من أحدٍ مَيَّزَ الصبرَ والجزع إلا وجد بينهما مناهجاً متفاوتاً .

وأما الصبر بحسن العلانية فمحمود العاقبة !

وأما الجزع فصاحبه غيرُ مُعَوَّض !

فقلت لها : لقد صبرت فأجملت ، ونعم عُقْبَى الصابرين !

### \* يغفر الله لأهل الجمال

خرج أبو حازم يوماً يرمى الجمار ، فإذا هو بامرأة حاسر<sup>(١)</sup> ، قد فتنّت الناس

بحسن وجهها ، وألهتهم بجمالها !

(١) حاسر وسافر ليس فى وجهها قناع .

فقال لها : يا هذه ، إنك بمشعر حرام ، وقد فتنت الناس ، وشغلتهم عن مناسكهم ؛ فاتقى الله واستبرى ؛ فإن الله عز وجل يقول في كتابه العزيز : ﴿وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾

[٣١/النور]

فقالت : إني من اللاتي قيل فيهن :

أماطت كساء الخنز عن خُرُوجِهَا      وأزاحت على المتئين بُرداً مُهْلَهِلاً<sup>(١)</sup>  
مِنَ اللاءِ لم يَخْجُجْنِ يَفِينِ حِسْبَةً      ولكن ليقتلن البريء المَقْفَلاً<sup>(٢)</sup>

وهذا الشعر للحارث بن خالد المخزومي - فقال أبو حازم لأصحابه :

تعالوا ندعو الله لهذه الصورة الحسنة أن لا يعذبها الله بالنار !

فجعل أبو حازم يدعو وأصحابه يؤمنون . فبلغ ذلك الشعبي فقال :

ما أَرْقَكُمْ يا أهل الحجاز وأظرفكم !

أما والله لو كانت من قرى العراق لقال : اعزى<sup>(٣)</sup> عن وجهي عليك لعنة الله !!

## \* صحابية تحمل خنجراً

كانت أم سليم تصحب رسول الله ﷺ في غزواته ، فتداوى الجرحى ، وتسقى العطاش ، وربما جاوزت ذلك فانغمرت في الجيش غازية .

ولها في الحرب حديث مفاض ، وكانت يوم حُنين حاملاً ، فرآها أبو طلحة متقلدة خنجراً مشهوراً فشكاها إلى رسول الله ﷺ ! فقالت : يا رسول الله ، أتخذة إن دنا أحد من المشركين بقرْث بطنه ، أقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم إن

(١) أماطت : أزالَتْ وكشفت . والخنز : الحرير . والمتائن : الكتفان والبرد : الكساء . ويقول المعجم الوسيط : والمتائن مكشفاً الصلب من العصب واللحم من عن يمينه وشماله .

(٢) حِسْبَةٌ : من أجل احتساب الثواب عند الله .

(٣) اعزى : ابعدى واحتفى . ومثلها : اغرى .

انهزموا بك .

فتبسم رسول الله ﷺ وقال : « يا أم سليم ، إن الله كفى فأحسن » وأم سليم من اللواتي أكرمهن رسول الله ﷺ بزيارتها ، وربما طعم وبات في دارها - رضي الله عنه ، وكان لأنس حين قدم إلى المدينة عشر سنوات ، فذهبت به إليه فقالت : يا رسول الله ، هذا أنس يخدمك ، فأقام على خدمته ﷺ عشر سنوات حتى لحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى .

### \* أم حكيم وراءك !

اشترك النساء مع الرجال في القتال ، فقد روى أبو الفرج في الأغاني :  
أن امرأة من الخوارج كانت مع قطري بن الفجاءة ، يقال لها : أم حكيم .  
وكانت أشجع الناس وأجملهم وجهاً ، وأشدهم بالدين تمسكاً .

أخبر من شاهدها في الحرب أنها كانت تحمل على الناس <sup>(١)</sup> وترتجز :

أحملُ رأساً قد سُمْتُ حَمْلَهُ      وقد ملكتُ دَهْنَهُ وَغَسْلَهُ

ألا قَتَى يحملُ عَنَى ثَقْلَهُ ؟!

وحدث أن أرسل ابن زياد أسلم بن زرعة في ألفين لمحاربة فرقتها فهزمته ،  
وكانت في أربعين من الخوارج .

فقال له ابن زياد : ويلك !

أتمضى في ألفين فتهزم لخمسة أربعين ؟!

وكان أسلم هذا إذا خرج إلى السوق ، أو مرّ بصبيان صاحوا به : أم حكيم

وراءك !!

### \* مثل رائع من أمثلة الوفاء والمروءة !

روى أن رجلاً من عُذرة ، شكا إلى أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ، مروان  
ابن الحكم عامله على المدينة ؛ لرغبة في التفريق بينه وبين زوجته على الرغم

(١) تحمل : تهجم . وترتجز . وتقول شعراً من بحر الرجز .

منها ! ؛ لفقر نزل به بعد عز ، ولرغبته في أن يتزوج منها لجمالها الرائع ، فأمر أمير المؤمنين بإحضارها ، فلما مثلت بين يديه ، راقه هو أيضا جمالها ، وودّ لو أنها له زوجة !

فقال لزوجها : إننا نخيرها بيننا ، فقال الرجل : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ! فتوجه معاوية نحوها ، وقال لها :  
يا سَعْدَى ! ؛ أينا أحب إليك :

- أمير المؤمنين في عزه وشرفه وقصوره !؟
- أم مروان بن الحكم في غصبه واعتدائه !؟
- أم الأعرابي في جوعه وأطماره <sup>(١)</sup> !؟

فأشارت إلى ابن عمها الأعرابي ، وأنشأت تقول :

هذا وإن كان في جُوعٍ وأطمارٍ      أعزُّ عندي من أهلي ومن جاري  
وصاحبِ التاج أو مروان عامله      وكلّ ذى درهم منهم ودينار !!

ثم قالت : يا أمير المؤمنين ، لستُ لحدثانِ الدهرِ بخاذلتَ ، ولقد كانت لي معه عيشة راضية ، وأنا أحقُّ من صبرٍ معه على السراء والضراء ، وعلى الشدة والرخاء ، وعلى العافية والبلاء ، وعلى القسم الذي كتب الله لي منه !  
فتعجب معاوية من عقلها ، ومروءتها ، وأمر لها بعشرة آلاف درهم ، وألحقها بصدقات بيت المؤمنين .

## \* لولا الله

عن ابن جريج قال :

أخبرني من أصدقه أن عمر بن الخطاب ، بينما كان يطوف ليلاً ، سمع امرأة تقول :

---

(١) جمع طمر : وهو الثوب الخلق .  
(٢) حدثان الدهر : نوابه وأحداثه . بخاذلت : بتخليه عنه .

تَطَاوَلَ هَذَا اللَّيْلُ وَاسْوَدَّ جَانِبُهُ  
فَوَاللَّهِ لَوْلَا اللَّهُ تُخَشِّي عَوَاقِبَهُ  
وَلَكُنْتُ أَحْشَى رَقِيماً مُوَكَّلاً  
مَخَافَةَ رَبِّي وَالْحَيَاءِ يَصُدُّنِي  
وَأَرْقَى أَلَا ضَجِيعَ أَلَا عُبُهُ  
لَزَخَزَخَ مِنْ هَذَا السَّرِيرِ جَوَانِبُهُ  
بِأَنْفُسِنَا لَا يَفْتَرُ الدَّهْرَ كَاتِبُهُ  
وَأَكْرَمَ بَعْلِي أَنْ تُنَالَ مَرَاتِبُهُ

فقال لها عمر :

وما لك ؟

فقالت :

أَغْرَيْتَ زَوْجِي مِنْذَ أَشْهُرٍ<sup>(١)</sup> وَاشْتَقْتُ إِلَيْهِ !

قال : أردت سوءاً ؟

فقالت : معاذ الله !

قال : فاملكي عليك نفسك ، إنما هو البريد إليه <sup>(٢)</sup> .

وبعث إليه .

ثم دخل على ابنته « أم المؤمنين حفصة » وقال : إني سائلك عن أمر قد أهمنى ،

فأفرجيه عني !

كم تشتاق المرأة إلى زوجها ! إذا غاب عنها ؟!

فخففت رأسها ، واستحييت .

فقال : فإن الله لا يستحي من الحق !

فأشارت بيدها : « ثلاثة أشهر » ، وإلا فأربعة !

فكتب عمر :

لَا تُخْبَسِ الْجِيُوشُ فَوْقَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ .

### \* وفاء زوجة !

عن رجل من بنى أسد قال :

أَضَلَّتْ إِبِلًا لِي .. ؛ فَخَرَجْتُ فِي طَلَبِهَا ، فَهَبَطْتُ وَادِيًا وَإِذَا أَنَا بِفَتَاةٍ ،

(١) أرسلته مع من وجهتهم للحرب والغزو .

(٢) أى مسافة وصول البريد إليه .

أعشى نور وجهها نورَ بصرى !

فقلت لى : يافتى مالى أراك موها ( ساهى القلب ذاهل العقل ) ؟!

فقلت : أضللت إبلاً لى ، فأنا فى طلبها .

فقلت : أفأدلك على من هى عنده ؟! وإن شاء أعطاكها <sup>(١)</sup> !

قلت : نعم . وله أفضلهن .

قلت : الذى أعطاكهن أخذها ، وإن شاء ردهن !

فسله عن طريق اليقين <sup>(٢)</sup> ، لامن طريق الاختيار . فأعجبني ما رأيت من

جمالها وحسن كآلها !

فقلت : ألك بعل ؟

قلت : قد كان ، ودُعِى فأجاب ، فأعيد إلى ما خُلِق منه <sup>(٣)</sup> !

قلت : فما بالك ببعل تؤمن بوائقه ( شروره ) ، ولا تُدْمُ خلائقه ؟! ( صفاته وأخلاقه )

فرفعت رأسها وتنفست وقالت :

ماء الجدول فى روضات جنات <sup>(٤)</sup>

دهرٌ يكرّر بترحات وفزحات <sup>(٥)</sup>

ألا أبوء ببعلٍ طولٍ نحياتى <sup>(٦)</sup>

حتى تُوفى قريباً مُذْ سُنَيَات

عن الوفاء خلافٌ بالتحيات

كنا كفصين فى أصلٍ غذاؤهما

فاجتث خيرهما من جنب صاحبه

وكان عاهدنى إن خاننى زمنٌ

فلم نزل هكذا والوصل شيمتنا

فأقبض عنانك عمن ليس يردعه

(١) تقصد أن المال مال الله هو الذى يعطى ويأخذ .

(٢) سله وأنت على يقين بأن كل شيء من عنده ، وأنه قادر على ردها ، وهو العليم بما صار عليه

أمرها !

(٣) لى نداء ربه ، وعاد إلى التراب !

(٤) كنا نلعب بحياة صافية . (٥) اجتث : قطع . ترحات : أحزان .

(٦) أبوء ببعل : أرجع .

## هكذا والله يكون الوفاء !

قال أبو علي القالي :

حدثنا أبو بكر بن دُرَيْد عن أبي حاتم عن العُتْبَى قال :  
حدثني أبي قال : اجتمعت عن خالد بن عبد الله القَسْرَى فقهاء الكوفة ، وفيهم  
أبو حمزة الثَّمَالِي ، فقال خالد :  
حدثونا بحديث عِشْق ليس به فُحْش !

فقال أبو حمزة : أصلح الله الأمير ، بلغني أنه ذكر عند هشام بن عبد الملك  
غدر النساء ، وسرعة تزويجهن بعد انقضاء عدتهن ، فقال هشام : إنه ليبلغني من  
ذلك العجب .

فقال بعض جلسائه : أنا أحدثك يا أمير المؤمنين عما بلغني عن امرأة من بني  
يَشْكُر كانت عند ابن عمِّ لها ، فمات عنها ، بعد مَسْأَلَتِهِ إياها <sup>(١)</sup> عما تريد أن  
تصنع بعده ؟!

فأخذ العهود عليها في ذلك ، وكان اسمه غسان بن جهضم بن الغدافر ، وكان  
اسم ابنة عمه أم عقبة بنت عمر بن الأبحر ، وكان لها محبًّا ، وكانت له كذلك ،  
فلما حضره الموت ، وظن أنه مفارق الدنيا ، قال : ثلاثة آيات ، ثم قال :  
اسمعي يا أم عقبة ، ثم أجيبي ، فقد تآقت نفسي إلى مَسْأَلَتِكَ عن نفسك ،  
فقلت :

لا أجيبك بكذب ، ولا أجعله آخر حظي منك ، فقال :

|                                              |                                             |
|----------------------------------------------|---------------------------------------------|
| أَحْبِزِي بِالَّذِي تَرِيدِينَ بَعْدِي       | وَالَّذِي تَرِيدِينَ يَا أُمَّ عُقْبَةَ     |
| تَحْفَظِينِي مِنْ بَعْدِ مَوْتِي لَمَّا قَدْ | كَانَ مِنِّي مِنْ حُسْنِ خُلُقِي وَصُحْبَةِ |
| أَمْ تُرِيدِينَ ذَاهِلَ وَمَالٍ              | وَأَنَا فِي التُّرَابِ فِي سُحْقٍ غُرْبَةٍ  |

فأجابته تقول :

قَدْ سَمِعْتُ الَّذِي تَقُولُ وَمَا قَدْ

يَا بِنَ عَمِّي تَخَافُ مِنْ أُمَّ عُقْبَةَ

(١) أن سألتها ووجه إليها سؤالاً حول تصرفها بعد موته !

أنا من أخفَظ النساء وأزعا  
سوف أبكيك ماحيث بنوح  
هئن لما قد أوليت من حُسن صُحبة  
ومرات أقولها وبنُدبته  
فما سمع ذلك أنشأ يقول :

أنا والله واثق بك لكن  
بعد موت الأزواج ياخير من عو  
احتياطاً أخاف غدر النساء  
شِر فارعى حقى بحُسن الوفاء  
إننى قد رجوت العهد فكونى إن مُت عند الرجاء

ثم أخذ عليها العهود ، واعتقل لسانه ، فلم ينطق بحرف حتى مات !  
فلم تمكث بعده إلا قليلاً حتى تُخطبت من كل وجه ، ورغب فيها الأزواج  
لاجتماع الخصال الفاضلة فيها ، فقالت مجيبة لهم :

سأحفظ غساناً على بُعد داره  
وإلى لفي شغل عن الناس كلهم  
وأزعا حتى تلتقى يوم نخشُر  
فكفوا فما مثلى بمن مات يغدر  
سأبكي عليه ماحيث بدفعة  
تجول على الخدين متى فتهمر

ولما تطاولت الأيام والليالي تناست عهده ، ثم قالت :  
من مات فقد فات ، فأجابت بعض خطابها فتزوجها !  
فلما كانت الليلة التى أراد الدخول بها فيها أتاها غسان فى منامها وقال :

غدرت ولم ترعى لبعلك حرمة  
ولم تبصرى حولا حفاظاً لصاحب  
ولم تعرفى حقاً ولم تحفظى عهداً  
خلفت له بتاً ولم تنجزى وعداً  
كذلك ينسى كل من سكن اللحد !!!  
غدرت به لما ثوى فى ضريحه

فلما سمعت هذه الأبيات انتبهت مرتاعة كأن غسان معها فى جانب البيت ،  
وأنكر ذلك من حضر من نساءها ، فأنشدتهن الأبيات .  
فأخذن بها فى حديث ينسبها ماهى فيه ، فقالت لهن :

والله ما بقى لى فى الحياه من أرب <sup>(١)</sup> حياء من غسان ؛ فتعفلتن فأخذت  
مُدِّيَّة فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها ، فقالت امرأة منهن هذه الأبيات :

|                          |                               |
|--------------------------|-------------------------------|
| لَقِيتُ مِنْ غَسَّانٍ ؟  | لِلَّهِ دَرْكُ مَا إِذَا      |
| يَاخِيرَةَ النَّسْوَانِ  | قَتَلْتُ نَفْسَكَ حُزْناً     |
| هَمَمْتُ بِالْعَصِيَّانِ | وَفَيْتُ مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ |
| لِسُقْطَةِ الْإِنْسَانِ  | وَذُو الْمَعَالِى غَفُور      |

إن الوفاء من الله لم يزل بمكان

فلما بلغ ذلك المتزوج بها قال :

ما كان فيها مُسْتَمْتَعٌ بعد غسان !

فقال هشام بن عبد الملك :

« هكذا والله يكون الوفاء » <sup>(٢)</sup>

### \* أُحِبُّهُ .. وَإِنْ غَدَرَ !!

الحب أعمى .. هكذا قالوا ..

وقد عاش أمير الشعراء تجربة زوجة أحبت .. ولكن زوجها فى وادٍ آخر .. تُرى  
بم تهتف ؟ وماذا تقول ؟

|                                   |                          |
|-----------------------------------|--------------------------|
| جَهْدُ الْهَوَى وَإِنْ غَدَرَ !   | يَا ظُلُمًا أَجْثَمًا    |
| مِثْلُ الْقُلُوبِ أَمْ حَجَرٌ ؟ ! | قَلْبُكَ لِحِمٍّ وَدَمٍّ |
| مِمَّا جَنَى وَلَا اعْتَدِر !     | لَمْ يَتَصَّلْ مَرَّةً   |
| إِلَّا أَنْ قَلْبِي قَدْ غَفَرُ   | ذُبُّكَ لَا يُغْفَرُ     |
| فَأَنْتِ فِي سَوَارِحِ الْفِكْرِ  | إِنْ غَبَتْ عَنْ عَيْنِي |

(١) مقصد ، وغاية ، وهدف .

(٢) لكن يمكن أن يكون الإنسان وفيًا محسباً ثوابه دون أن يموت منتحراً . وليس الوفاء سلباً ، وإنما هو عمل إيجابى ، فقد تتزوج المرأة وتحفظ نفسها وترعى أولاد زوجها التوفى ، وتعيش حياتها كريمة شريفة

أراك كلَّما رأيت طائرَيْن في الشجرِ  
وكلَّما بدت لي الشَّمْسُ ولاح لي القمرُ  
وكلَّما ترنَّم الشَّادى وحرك الوترُ  
وكلَّما دبَّت وراءَ الليلِ نَسَمَةُ السَّحَرِ  
ياليت شِعْرى كيف أنى ما تجيء ما تذر ؟ !

### \* اللهم اغفر لي ! وما أراك تفعل (\*) !!

أبو بكر بن دُرَيْد يروى عن .. يعقوب بن يوسف الكندى قال :  
حَاجَجْتُ ذات يوم فإذا أنا برجل عند البيت وهو يقول : اللهم اغفر لي  
وما أراك تفعل !

قال : فقلت : يا هذا ، ما أعجبَ يأسَكَ من عفوِ الله !  
قال : إن لي ذنباً عظيماً !  
قال : كنت مع يحيى بن محمد بالموصل ، فأمرنا يوم الجمعة ، فاعترضنا المسجد ،  
فترى أنا قتلث ثلاثين ألفاً !  
ثم نادى مناديه :

من علّق سَوْطَه على دار فالدار وما فيها له . فعلقت سوطى ، على دار ودخلتها ؛  
فإذا فيها رجل وامرأة ، وابنان لهما ، فقدّمت الرجل فقتلته !  
ثم قلت للمرأة : هاتى ما عندك ، وإلا ألحقت ابنيك به !  
فجاءتنى بسبعة دنانير ومُتَّع<sup>(١)</sup> .

قال : فقلت : هاتى ما عندك .  
فقال : ما عندى غيرها !  
فقدّمتُ أحد ابنيها فقتلته !  
ثم قلت : هاتى ما عندك ، وإلا ألحقت الآخر به ، فلما رأَت الجَدَّ منى قالت :

(١) متاع قليل .

(\*) أمالى الزجاج .

ارفق ، فإن عندى شيئاً كان أَوْدَعْنِيهِ أبوهما ، فجاءتنى بعلبة مذهبة لم أر  
مثلاً فى حسنهما ! ،  
فجعلت أقلبها فإذا عليها مكتوب بالذهب :

إذا جاز الأمير وحاجباه وقاضى الأرض أسرف فى القضاء  
فويل ثم ويل ثم ويل لقاضى الأرض من قاضى السماء !  
\* عبقرية فريدة !

عندما هبط المسلمون على مشارف مكة ، ونزلوا عند الحديبية على بعد أميال  
من مكة وفى قلوبهم ذلك الأمل الحلو أن يطوفوا بالبيت العتيق رأوا ناقة الرسول  
تبرك ، وسمعوا رسول الله ﷺ يقول : « لقد حبسها حابس الفيل عن مكة »  
وراحوا يفكرون : هل يمنعون من دخول البيت الحرام ؟ أيعودون مقهورين  
دون أن يدخلوا مكة ؟ وسمعوا نداء الرسول ﷺ « قوموا فانحروا ثم احلقوا »  
ولكن كيف يعودون بلا طواف ولا سعى ولا عمرة ؟!

إن الأمل الحلو مازال يداعب أفئدتهم .. ورسول الله ﷺ يأمرهم أن يتحللوا  
من إحرامهم والمسلمون لم يحركوا ساكناً ! وهنا يدخل الرسول ﷺ على زوجه  
أم المؤمنين أم سلمة وذكر لها مالقى من الناس « قال لهم : قوموا فانحروا  
واحلقوا فوالله ما قام منهم أحد »

وتفتق ذهنها عن عبقرية قل نظيرها فى التاريخ !

قالت : يا نبي الله ، أتعجب ذلك ؟

اخرج ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُذْنَكَ ، وتدعو حالقك  
فيحلقك .

إن الأمر اللفظى لم يحرك ساكن أحد . فليكن الأمر العملى هو الذى يحسم  
الموقف .

فخرج ﷺ فلم يكلم أحداً حتى فعل ذلك .. نحر بُذْنَهُ ، ودعا حالقه  
فحلقه ، فلما رأوا ذلك قاموا فانحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً ..

[ حديث صحيح وهو من تمام قصة الحديبية عند البخارى وأحمد ]  
فiale من درس تربوى خالد فقهناء من أم سلمة رضى الله عنها خريجة بيت  
النبوة عن دور القدوة العملية فى التربية .

### \* المرأة التى قالت فأسمعت !

خولة بنت ثعلبة .. تخلى عنها زوجها أوس بن الصامت بعد أن كبرت سنّها  
وانقطع ولدها !!

لقد حرّمها على نفسه كحرمة أمّه عليه فقال لها ذات يوم :

«أنت علىّ كظهر أمّى»

فراحت تشكو إلى الله ورسوله بعد أن ضاقت الدنيا فى وجهها !!

وعرضت قضيتها أبلغ عرض فقالت :

«يارسول الله ، أكل مالى ، وأفنى شبائى ، ونثرت له بطنى ، حتى إذا كبر  
سنتى ، وانقطع ولدى ظاهر منّى ! (أى حرّمنى عليه قائلاً : أنت علىّ كظهر  
أمّى) اللهم إنى أشكو إليك !!»

وتقول السيدة عائشة راوية الحديث :

فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات :

﴿قد سمع الله قول الذى تجادلك فى زوجها وتشتكى إلى الله والله يسمع تحاوركما  
إن الله سميع بصير﴾ [أول المجادلة] [أبو حاتم عن الأعمش]

### \* ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك !!

فى الصحيحين عن عدوة قال :

كانت خولة بنت حكيم من اللاتى وهبن أنفسهن للنبي ﷺ !

فقالت عائشة - رضى الله عنها - :

أما تستحى المرأة أن تهب نفسها للرجل ؟!

فلما نزلت الآية :

﴿ثُرجى من ثناء منهن وثُوى إليك من ثناء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك<sup>(١)</sup> ..﴾

قلت : يا رسول الله ، « ما أرى ربك إلا يسارع فى هواك » .

## \* شاعرة تفوق الرجال

حكى عن النابغة الذبياني أنه كانت تقام له قبة بسوق عكاظ يجتمع إليه فيها الشعراء ، فدخل إليه « حسان بن ثابت » ، وعنده الأعشى ، وقد أنشده شعره ، وأنشدته الخنساء قولها :

قَدْ بَعَيْنِيكَ أُمُّ بِالْعَيْنِ عَوَّارُ      أُمُّ ذَرْفَتْ إِذْ خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الدَّارُ<sup>(٢)</sup>  
حتى انتهت إلى قولها :

وإن صخرًا لتَأْتِمُ الْهُدَاةُ بِهِ      كأنه عَلِمَ في رَأْسِهِ نَارُ<sup>(٣)</sup>  
وإن صخرًا لمولانا وسيدنا      وإن صخرًا إِذَا نَشْتُو لِنَحَارُ<sup>(٤)</sup>  
فقال :

لولا أن الأعشى أنشدنى قبلك ، لقلت :  
إنك أشعر الناس !  
أنتِ والله - أشعر من كل أنثى !  
قالت : - والله - ومن كل رجل !

(١) وقبلها الآية ﴿يأيا النبى إنا أحللنا أزواجك اللاتي آتيت أجورهن وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك﴾ إلى قوله : ﴿وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي إن أراد النبي أن يستكحها خالصة لك من دون المؤمنين﴾ [٥٠ - ٥١ الأحزاب]

(٢) عَوَّار : كل ما أصاب العين بعله . وذَرْفَتْ : قطرت . وهى تتساءل عن سر تلك الدموع فى العينين .. ألملة هو ؟ أم خلل الدار من الأهل !

(٣) العلم : الجبل . (٤) صخر أخوها لأبيها وكان بها رحيماً وعليها عطفوا ، ويقال : شتا القوم : أجدبوا فى الشتاء . وعندئذ يتجلى كرم صخر حيث ينحر ويقدم الطعام فى الخن .

فقال حسّان :

أنا - والله - أشعر منك ومنها .

قال : حيث تقول ماذا ؟

قال : حيث أقول :

لنا الجفّناتُ الغرّ يلمعن بالضّحا      وأسيفنا يَقْطُرْنَ من نَجْدَةٍ دَمًا  
ولذنا بَنَى العنقاءُ وابنى مُحَرَّق      فأكرِمَ بنا خالاً وأكرِمَ بنا ابْنَمَا

فقال : إنك شاعر لولا أنك قلت : « الجفّنات » : فقللت العدد .

ولو قلت : الجِفان لكان أكثر .

وقلت : « يلمعن في الضحا » .

ولو قلت : « يبرقن بالدجى » لكان أبلغ في المديح . لأن الضيف بالليل أكثر طروقاً .

وقلت : « يقطرن من نَجْدَةٍ دَمًا » ، فدللت على قلة القتل ، ولو قلت : « يجرين » لكان أكثر لانصباب الدم .

وفخرت بمن ولدت ، ولم تفخر بمن ولدك . فقام حسّان منكسراً منقطعاً !

### \* الموت ولا المعصية !

كان أحد التجار في منزله ذات ليلة ، ففُرع الباب ، وإذا بشابة جميلة تشكو إليه جوعها ، فحادثها ، ثم راودها عن نفسها ، فقالت :

الموت جوعاً .. ولا معصية ربى !

ثم رجعت من حيث أتت .

وبعد أيام عادت وتوسلت إلى أن أساعدها ، وأطعمها لوجه الله ، فقلت : لا إلا أن تمكيني من نفسك ، فقالت :

الموت خير من عذاب الله .. وخرجت وهي تقول :

أَيُّنا واحداً شَمِلَ الخَلْقَا      بِسَمْعِكَ ما أشكو .. بعينِكَ ما ألقى

لقد صدمتني شدة وخصاصة  
كأنني ظمآن تَرى الماء عينه  
تُنازِعني نَفسي إلى نيل أكلة  
أعصيك بعد الفضل والجوع والهدى  
سأثْلِفُهَا في نيل حُبك سيدي  
ونازلني ما بعضه يمنع النطقاً<sup>(١)</sup>  
فلا غلة تُروى ، ولا شربة تُسقى  
لذاتها تُفنى وغصتها تُبْقَى  
وكيف وبالطاعات أستجلب الرزقا؟  
عسائى بها أستوجب القرب والعقبا!

فجزع التاجر لما سمع من قولها ، وقال لها : عودى وكلى ما شئت من الطعام  
في أمان الله !

فقالت : اللهم كما أنرت قلبه ، وهديت لبه ، فأجب دعاءه ، ولا ترده خائباً ،  
فكان مادعت به ، وملاً الله قلبه بالإيمان ، فتزوجها وعاشا في أمان !

## \* أُرَيْبُ أجمل نساء زمانها قصة الوفاء العظيم

كان معاوية بن أبي سفيان ، واسع الحيلة عظيم الدهاء . ومن ذلك ، حيلته  
في قصة أُرَيْب بنت إسحق ، زوج عبد الله بن سلام القرشي . وكان عبد الله  
والياً لمعاوية على بلاد العراق ، وكانت أُرَيْب من أجمل نساء زمانها ، وأحسنهن  
أدباً ، وأرفعهن منزلة وأكثرهن مالا . وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها  
وما هي عليه من الأدب وحسن الخلق والخلق ، ففَتِنَ بها ، فلما عيّل صبره ،  
خصّ بصره خصيصاً بمعاوية ، اسمه رفيف ، فذكر ذلك رفيف لمعاوية ، وذكر  
شدة شغف يزيد بها ، وأنه ضاق ذرعاً بأمرها ، فبعث معاوية إلى يزيد ،  
فاستفسره أمره ، فبث له شأنه . فقال له معاوية : مهلاً يا يزيد ، قال يزيد :  
علام المهل ، وقد انقطع منها الأمل ؟ قال له معاوية : فأين جِحاك ومروءتك ؟  
فقال يزيد : قد عيّل الجحى ونفد الصبر ، ولو كان أحد ينتفع به من الهوى  
لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به<sup>(٢)</sup> . فقال معاوية : ساعدني على  
أمرك بالكتمان ، فإن البوح به غير نافعك ، والله بالغ أمره فيك ، ولابد مما

(١) الخصاصة : الجوع . ونازلني قاتلني وأصابني .  
(٢) مغالطة شيطانية من يزيد ترجع إلى قصة إسرائيلية .

هو كائن . وكانت أرينب بنت إسحق ، مثلاً لأهل زمانها في جمالها وشرفها وتما كالأها وكثرة مالها ، فأخذ معاوية في الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه وينال غرضه ومناه . فكتب إلى عبد الله بن سلام — وكان استعمله والياً على العراق — أن أقبل حين تنظر في كتابي ، لأمر فيه حظك إن شاء الله ، ولا تتأخر عنه ، وأغد السير : (أسرع) .

### \* قدوم عبد الله

وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء ، صاحبا رسول الله ﷺ ، فلما قدم عليه عبد الله بن سلام ، أعد له منزلاً حسناً ، وهياً له ، وأنزله فيه ، وبالع في إكرامه . ثم قال لأبي هريرة وأبي الدرداء : إن الله قد قسم بين عباده نعماً ، أوجب عليهم شكرها ، وحتم عليهم حفظها ، فحباني عز وجل بأتم الشرف ، وأفضل الذكر ، وأوسع على في رزقه ، وجعلني راعى خلقه ، وأمينه على بلاده ، والحاكم في أمر عباده ، ليلوني : أشكر أم أكفر . وأولى ما ينبغي للمرء أن يتفقده وينظر فيه ، من استرعاه الله أمره ، ومن لا غنى به عنه . وقد بلغت لى ابنة ، وأريد زواجها ، والنظر في تحير من يباعها ، لعل من يكون بعدى ، يقتدى فيه بهدى ، ويتبع فيه أثرى ، فإنه قد بلى هذا الملك بعدى ، من يغلب عليه زهو الشيطان ، فيزين لهم تعطيل بناتهم ، إذ لا يرون لهن كفواً ولا نظيراً ، وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشى ، لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه .

فقال له أبو هريرة وأبو الدرداء : إن أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها ، وطلب مرضاته فيما خصه بها منها ، لأنت ، فإنك صاحب رسول الله ﷺ ، وكتابه وصهره . فقال معاوية : فاذكرا له ذلك عنى ، وقد جعلت لها في نفسها شورى ، غير أنى أرجو ألا تخرج عن رأيى إن شاء الله . فخرجا من عنده ، متوجهين إلى عبد الله بن سلام القرشى ، بالذى قال لهما معاوية .

### \* دخول معاوية على ابنته

دخل معاوية على ابنته فقال لها : إذا دخل عليك أبو هريرة وأبو الدرداء ،

فعرضا عليك عبد الله بن سلام ، وزواجى إياك منه ، وحضّاك على المسارعة إلى رضائى ، فقولى لهما : عبد الله بن سلام كفء كريم ، غير أن تحتة أرينب بنت إسحق ، وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء ، ولست بفاعلة حتى يفارقها .

وأما أبو الدرداء وأبو هريرة ، فإنهما لما وصلا إلى عبد الله بن سلام ، أعلماه بما قال معاوية ، فردّهما عبد الله إلى معاوية خاطبين عنه . فلما مثلا بين يدى معاوية ، قال لهما : إني كنت أعلمتكما أنني جعلت لها الشورى فى نفسها ، فادخلا عليها ، وأعلماهما بما رأيت لها ، فدخلتا عليها ، وأعلماهما بذلك . فقالت لهما كما قال لها أبوها من قبل ، فعادا إلى عبد الله بن سلام ، وأعلماه بذلك . فلما ظن أنه لا يمنعه منها إلا فراق أرينب ، أشهدهما على فراقها ، وبعثهما إليه خاطبين . فلما دخلا على معاوية ، أعلماه بطلاق أرينب . فأظهر معاوية ، كراهية ذلك ! وقال : ما استحسنت له طلاق زوجته ، ولا أحببته ، فانصرفا فى عافية ، وعودا إلينا وكتب معاوية إلى ابنه يزيد بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لأرينب بنت إسحق .

### \* الشيخان يخطبان

عاد أبو الدرداء وأبو هريرة إلى معاوية ، فأمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها ، وهو يقول : لم يكن لى أن أكرهها ، وقد جعلت لها الشورى فى نفسها ، فدخلتا عليها ، وأعلماهما بطلاق أرينب ، ليسراها بذلك ، وذكرنا شرفه وكرمه ومروءته وكريم محتده . فقالت لهما : جفّ القلم بما هو كائن ، وإنه فى قریش لرفيع القدر ، وقد تعرفان أن الزواج ، جدّه جد ، وهزله جد كذلك ، والأناة فى الأمور أوفق ، لما يخاف فيها من المحذور ، فإن الأمور إذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها ، كان المرء بحسن العزاء خليقاً ، وبالصبر عليها حقيقاً . وإنى سائلة عنه ، حتى أعرف دخيلة خبره ، ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره ، وإن كنت أعلم أن لا اختيار لأحد فيما هو كائن ، ومعلمتكما بالذى يرينيه الله فى أمره ، ولا حول ولا قوة إلا بالله . فقالا لها :

وفقك الله وخار لك . فلما أعلمنا عبد الله بقولها ، أنشأ يقول :

**فإن يك صدر هذا اليوم ولّى فإن غداً لناظره قريب**

وتحدث الناس بالذى كان من طلاق عبد الله بن سلام امرأته ، وخطبته ابنة معاوية ، وقالوا : لقد طلق حتى يفرغ من طلبته ، ويتحقق له الذى كان من بغيته ؟ واستحث عبد الله ، أبا هريرة وأبا الدرداء ، فأتياها وقالا لها : اصنعى ما أنت صانعة . واستخيرى الله ، فإنه يُهدى من استهداه . قالت : أرجو : والحمد لله أن يكون قد خار ، فإنه سبحانه لا يكل إلى غيره من توكل عليه . وقد سبرت أمره ، وسألت عنه ، فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فمنهم الناهى عنه ، والآمر به . واختلافهم أقل ما كرهت .

### **\* الآن عرفت**

فلما بلغه كلامها ، علم أنها حيلة ، وأنه مخدوع ، وقال متعزياً : ليس لأمر الله راد ، ولا لما لا بد منه صاد . فإن المرء وإن كمل له حلمه ، واجتمع له عقله ، واشتد رأيه ، ليس بدافع عن نفسه قدراً برأى ولا بكيد . ولعل ما سُرّوا به ، لا يدوم لهم سروره ، ولا يُصرف عنهم محذوره .

### **\* أبو الدرداء يخطبها ليزيد**

وذاع أمر ذلك وفشا فى الناس ، وقالوا : خدعه معاوية حتى طلق امرأته ، وإنما أرادها لابنه ، لبئس ما صنع ! فلما بلغ ذلك معاوية ، قال : لعمري ما خدعته . فلما انقضت أيامها ( عدّتها ) وجّه معاوية أبا الدرداء إلى العراق ، خاطباً لها على ابنه يزيد . فخرج حتى قدمها ، وبها يومئذ الحسين بن على بن أبى طالب ، فقال أبو الدرداء : ما ينبغي لذى النُبى ، أن يبدأ بشيء ويؤثره على مُهمٍّ أموره قبل زيارة الحسين ، سيد شباب أهل الجنة ، إذا دخل موضعاً هو فيه . فإذا أدبت حقه والتسليم عليه ، انقلبت إلى ما جئت من أجله — فقصد الحسين . فلما رآه الحسين ، قام إليه وصافحه ، إجلالاً لصحبته من جده

ﷺ ، ولموضعه من الإسلام ، وقال له : ما أتى بك يا أبا الدرداء ؟ قال : وجهنى معاوية خاطباً على ابنه يزيد ، أرينب بنت إسحق ، فرأيت على حقاً ، ألا أبدأ بشيء قبل السلام عليك ، فشكر له الحسين ذلك ، وأثنى عليه .

### \* الحسين يخطبها ويخبرها

قال الحسين لأبى الدرداء : لقد كنت رغبت فى زواجها منى ، وأردت الإرسال إليها ، إذا انقضت أيامها ، ولم يمنعنى من ذلك إلا تخيرٌ مثلك ، فقد أتى الله بك ، فاخطب رحمك الله على وعلى يزيد ، ولتخير من اختاره الله لها ، وهى أمانة فى عنقك ، حتى تؤديها إليها ، وأعطاها من المهر ، مثل ما بذل لها معاوية على ابنه يزيد . فقال : أفعل إن شاء الله . فلما دخل عليها ، قال : أيتها المرأة ، إن الله خلق الأمور بقدرته ، وكونها بعزته ، فجعل لكل أمر قدرأ ، ولكل قدر سبباً . وليس لأحد عن قدر الله مستخلص ، ولا للخروج عن علمه مستأنس . فكان ما سبق لك ، وقدر عليك الذى كان من فراق عبد الله ابن سلام إياك . ولعل ذلك لا يضرك ، ويجعل الله لك فيه خيراً كثيراً . وقد خطبك أمير هذه الأمة وابن ملكها ، وولى عهده ، والخليفة من بعده : يزيد ابن معاوية ، والحسين ابن بنت رسول الله ﷺ ، وابن أول من أقر به من أمته ؛ وسيد شباب أهل الجنة . وقد بلغك سنامهما وفضلهما ، وجئتك خاطباً عليهما ، فاختارى أيهما شئت لنفسك .

### \* فسد التدبير

سكتت أرينب طويلا ، ثم قالت : يا أبا الدرداء ، لو أن هذا الأمر جاءنى وأنت غائب ، لأشخصت فيه الرسل إليك ، وأتبعته فيه رأيك ، ولم أقطع فيه برأى دونك . فأما إذ كنت المرسل فيه ، فقد فوضت أمري بعد الله عليك وجعلته فى يديك ، فاختر لى أرضاها لديك ، والله شاهد عليك ، فاقض فى حقى بالتحرى ، ولا يصدّك عن ذلك اتباع الهوى ، فليس أمرهما خفياً ، ولا أنت عما طوqتك غيباً . قال أبو الدرداء : إنما على إعلامك ، وعليك الاختيار لنفسك . قالت : عفا الله عنك ، إنما أنا ابنة أخيك ، ومن لا غنى به عنك ،

فلا تمنعك رهبة أحدٍ من قول الحق فيما طوّقتك ، وقد وجب عليك أداء الأمانة فيما حملتك . والله خير من روعى وخيف ، إنه بنا خير لطيف . فلما لم يجد بداً من القول والمشورة ، قال : أى بنية ، ابن بنت رسول الله أحب إليّ لك ، وأرضى عندي ، والله أعلم بخيرهما لك . وقد رأيت رسول الله ﷺ واضعاً شفتيه على شفتى الحسين ، فضعى شفتيك حيث وضع رسول الله ﷺ شفتيه . قالت : قد اخترته ورضيته . فتزوجها الحسين بن علي بن أبي طالب ، رضى الله عنه ، وساق لها مهرأ عظيماً . وبلغ معاوية ما كان من فعل أبي الدرداء في ذلك وزواج الحسين إياها ، فتعاضمه جداً ، ولامه شديداً وقال : مَنْ يُرْسِلُ ذَا بَلَةٍ وَعَمَى ، يَرْكُبُ خِلَافَ مَا يَهْوَى .

وكان عبد الله بن سلام ، قد استودع أرينب بنت إسحق ، قبل فراقه إياها ، مالا كثيراً كان عنده . وكان معاوية قد قطع عنه جميع روافده ، لسوء قوله فيه ، وتهمته إياه بأنه خدعه ؛ فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره ، وقل ما في يديه من مال ، ولام نفسه على المقام لديه ، فرجع إلى العراق وهو يذكر ماله الذى استودعها إياه ، ولا يدرى كيف يصنع ، وكيف يصل إليه ؛ وهو يتوقع جحودها ، لسوء فعله بها ، وطلاقه إياها ، على غير شيء كان منها ، فلما قدم العراق ، لقي حسيناً ، فسلم عليه ؛ ثم قال له : قد عرفت ما كان من خبرى وخبر أرينب ، وكنت قبل فراقى إياها ، قد استودعتها مالا عظيماً ، وكان الذى كان ولم أقبضه ؛ والله ما أنكرت منها فى طول صحبتها فتىلاً ، ولا أظن بها إلا جميلاً ؛ فذاكرها فى أمرى ، واحضضها على رد مالى ، فإن الله يحسن به ذكرك ، ويجزل به أجرك ؛ فسكت عنه ، فلما انصرف الحسين إلى أهله قال لها : قد قدم عبد الله بن سلام ، وهو يحسن الثناء عليك فى دينك وحسن صحبتك ، فسرني ذلك وأعجبني ، وذكر أنه استودعك مالا ؛ فقالت : صدق ، استودعنى مالا لا أدرى ما هو ، وإنه لمطبوع عليه بخاتمه ، ما حوّل منه شيء إلى يومه ، وهاهو ذا فادفعه إليه بطابعه ! فأثنى عليها الحسين خيراً وقال : ألا أدخله عليك ، حتى تبرئى إليه منه ، كما دفعه إليك ؟

## \* قد كان ماهو كائن

ثم لقي عبد الله بن سلام . فقال له الحسين : ما أنكرت مالك ، وزعمت أنه كما دفعته إليها بطابعك ، فادخل يا هذا إليها ، واستوف مالك منها . قال عبد الله بن سلام : أو ما تأمر من يدفعه إليّ ؟ قال : لا ، حتى تقبضه منها كما دفعته إليها ، وتبريها منه إذا هي أدّته إليك ! فلما دخل عليها ؛ قال لها الحسين : هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته ، فأدى إليه أمانته ؛ فأخرجت إليه ذلك المال ، ووضعت بين يديه ، وقالت : هذا مالك ؛ فشكر وأثنى . وخرج الحسين عنهما . ففَضَّ عبد الله خواتم ماله ، وحثا لها منه جانباً كبيراً ، وقال : خذى ، فهذا قليل منى ؛ فاستعبرا جميعاً ، حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفاً على ما ابتليا به . فدخل الحسين عليهما — وقد رَقَّ للذى سمع منهما — فقال : أشهد الله أنها طالق ثلاثاً ، اللهم إنك تعلم أنى لم أتزوجها رغبة فى مالها ولا فى جمالها ، ولكنى أردت إحلالها لبعْلِها ؛ فطلقها ولم يأخذ شيئاً مما ساق إليها فى مهرها ، فسألتها عبد الله أن تصرف إلى الحسين ما كان قد ساقه إليها ، فأجابته إلى ذلك شكراً لما صنع بهما ، فلم يقبله الحسين ، وقال : الذى أرجوه من الثواب خير لى . فلما انقضت عدتها ، تزوجها عبد الله بن سلام ، وعادا إلى ما كان عليه من حسن الصحبة إلى أن فرق الموت بينهما ، وكرم الله يزيد ابن معاوية منها .

\* \* \*

أرأيت وفاء «أَرْئِب» العظيم ؟  
أرأيت غُلُوْهُمِ الحُسَيْن ، وُسْمُوْهُ نفسه ، ورقّة طبعه وانتصاره للحق ابتغاء وجه الله ؟ .

أرأيت أن الله من وراء الماكرين محيط ؟  
وأن الكيدَ والدسَّ والوقية ترتدّ كلها إلى أصحابها ؟  
أرأيت أن الله مع المظلوم حتى يُردّ إليه حقه ؟